IUGJIS
Vol 27, No 3, 2019, pp 169 - 208

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2018-01-31)، تاريخ قبول النشر (2018-05-05)

خوارق العادات: حقيقتها – شروطها ـ أنواعها ـ وموقف المخالفين منها دراسة تحليلية في مصنفات ابن تيمية

د. كمال محمد دين محجوب [1],*

[1] الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإدارية والإنسانية، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: kamal.m.deen@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث لبيان حقيقة الخارق للعادة وأقسامه على اختلاف الاعتبارات في ذلك، والفروق بينها من خلال كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وما يراد بحد الخارق للعادة عند غير أهل السنة والجماعة، وبيان أصل منشأ الخطأ عندهم في ذلك، وإبطال مقالاتهم ومجاوزاتهم في ذلك، وإظهار الفروق العلمية الدقيقة المتعلقة بالخارق للعادة وتقسيماته بين قول أهل السنة والجماعة ومقالات غيرهم.

كما أوضحت الدراسة بيان بعض المسائل وثيقة الصلة بالخارق للعادة: كالولاية لله سبحانه، وبعض المسائل المتعلقة بها.

وقد كان الحد المرجعي للدراسة الاقتصار على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728 هـ) رحمه الله، لما فيها من بسط وبيان علمي دقيق، تكفل بإيضاح وجوه المسألة وتفاصيلها على الوجه الأكمل.

كلمات مفتاحية: الخارق للعادة، المعجزة، الكرامة، الولاية.

Paranormal customs: their truth - conditions - types - and the position of those who violate them Analytical study in Ibn Taymiyyah's books

Abstract

The purpose of this research is to explain the reality of the extraordinary and its sections on the various considerations in this, and the differences between them through the books of Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah, and what is meant by the extraordinary limit of the non-Sunnis and the community, and the origin of the origin of the error they have in that, and invalidate their articles and their abuses in it, The scientific differences concerning the extraordinary and its divisions between the words of the Sunnis and the community and other articles.

The study also revealed a number of issues related to the extraordinary: the mandate of God Almighty, and some issues related to it.

The reference limit of the study was limited to the books of Shaykh al- Islam Ibn Taymiyah (d. 728 e), may God have mercy on him, because of its rudeness and a precise scientific statement, which ensures that the faces of the matter and its details are fully clarified

Keywords: Miracles Mujezah ,paranormal "Khawareq" and Karamah, wellayah.

الحمد لله الذي أرسل رسله إلى الهدي داعين وبدين الحق عاملين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين المؤيد بالآيات والبينات إكراماً، ونصرةً للحق المبين، وإقامةً لحجة الله على المعاندين، وعلى آله وصحبه سادات الأولياء وأئمة المتقين، المُتحَفين بسابغ الخوارق وعظيم الكرامات من لدن حكيم عليم، وبعد:

فإنه قد جرت سنة الله سبحانه وتعالى بجعل شؤون الكون والخلق على سَنَن مستقيم لا ينثلم، ونظام متسق لا ينخرم، ولا يحصل خلاف المعتاد في سائر تلك الأحوال بغير المألوف فيها إلا لأمر اقتضته الحكمة البالغة، ودعت له الأسباب الباطنة أو الظاهرة، على وجه يؤذن بالإشارة إلى السبب المقتضي والباعث عليه.

واتسمت تلك التغييرات الحاصلة في هذا الناموس الديمومي باقتصارها في الوقوع على يدي فئة معينة من الناس؛ اختصهم الله بها، وكانت مختلفة بحسب المضافة إليه.

وعرف في كلام أهل اللغة تسمية هذا التغيير بالخارق للعادة، بينما تعددت أقوال الطوائف واختلفت المذاهب في تحرير المعنى المقصود بهذا اللفظ في الاصطلاح، مما أثر في تقرير هذا المعنى الاصطلاحي ودلالاته العقدية، وتقسيماته.

وقد كان منهج أهل السنة من أوضح المذاهب في هذه المسألة، وقد جلى ذلك المنهج أئمته الأعلام وأوضحوه وبينوه بياناً شافياً، وممن له في ذلك الأثر الواضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد اجتهد في ذلك من خلال كتبه القيمة، حيث رتَّب فيها رحمه الله هذه المسائل، وحشد لها الدلائل، وأوضح فيها اختلاف الناس ومنشأ أقوالهم، وفند زيغهم وضلالهم، وذلك بتأصيل علمي رصين، يحكي منزلة المؤلف ومقامه.

وسيكون محل البحث دراسة المسائل المتعلقة بخوارق العادات من خلال مؤلفاته رحمه الله، خاصة كتاب النبوات الذي حوى كثيراً من مباحث المسألة، واقتصرت فيه على بيان أهم ما يتعلق بهذه المسألة بالكلام على خوارق العادات وما يتصل بشأنها من مسائل المعجزات والكرامات وبعض المباحث وثيقة الصلة بها كالولاية وغيرها، وبيان الفروق بينها.

۞ **أهمية الموضوع:** تتجلى أهمية الموضوع في عدة أمور، منها:

1. خوارق العادات من الأمور العارضة للسنن الإلهية المنتظمة في هذا الكون، فتحرير معناها واحتفاء النصوص ببيان شؤونها ومتعلقاتها العديدة، والمقصود منها، وغير ذلك من جوانب مسائلها يوضح عظم شأنها، وأهميتها، وأن خرق ذلك الانتظام الكوني له دلالاته ودواعيه العظيمة.
2. تشعب مباحث الموضوع ومسائلِه، وتناوله لكثير من أبواب الاعتقاد، فمتعلَّقه بباب الإيمان والنبوات غيرُ خافٍ، وأبواب تحقيق الألوهية مغلقة عن كثير من الضالين عن إدراك الصواب فيه، وذا بادٍ لذوي الإنصاف.
3. عدم تحرير الألفاظ والمصطلحات كان سبباً ظاهراً للانحراف في هذه المسألة، وعدم إدراك الصواب فيها، ومخالفة الجم الغفير للحق في هذا الباب الأصيل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة.
4. شدة التباس الباطل بالحق على كثير من الناس في هذا الموضوع، وانحرافهم عن الصواب فيه.

أهداف البحث:

1. تهدف الدراسة إلى بيان المفهوم الصحيح للمصطلحات العلمية المتعلقة بمسألة خوارق العادات وما يتعلق بها من مباحث أخرى.
2. بيان التقسيمات العلمية لخوارق العادات ومتعلقات كل قسم منها، ودلالاتها.
3. بيان وجوه الفروق العلمية القائمة على الدليل الصريح والعقل الصحيح بين أقسام خوارق العادات.
4. بيان حقيقة ما يظهر على يدي بعض المخالفين للهدى النبوي من خوارق، يدعون بها صلاحهم، وبيان الحال الحقيقي لهم، وأنه من تأييد الشياطين وأزهم، وذلك بإيضاح حقيقة الفروق بينها وبين ما يجريه الله على يدي أوليائه من الأنبياء وصالحي المؤمنين من أتباعهم.

۞ **خطة البحث:**

جعلت البحث في مقدمة، وخمسة مباحث، ومجموعة مطالب، وخاتمة، ثم أتبعته بفهرس لأهم المراجع.

أما المقدمة: فتشتمل على الافتتاحيةِ، فأهميةِ الموضوع، ثم الخطةِ، والمنهجِ المتَّبعِ في البحث.

الخطة: وتشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الخارق للعادة.وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخارق للعادة في اللغة.

المطلب الثاني: الخارق للعادة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: أقسام الخارق للعادة.

المبحث الثاني: حقيقة المعجزة وشروطها وأقسامها وموقف الطوائف منها.وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المعجزة في اللغة.

المطلب الثاني: المعجزة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: شروط المعجزة.

المطلب الرابع: أقسام خوارق الأنبياء.

المطلب الخامس: موقف الطوائف من المعجزات.

المبحث الثالث: التعريف بالكرامة وشروطها وموقف الطوائف منها.وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الكرامة في اللغة.

المطلب الثاني: الكرامة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: شروط الكرامات.

المطلب الرابع: موقف الطوائف من الكرامات.

المبحث الرابع: التعريف بالولاية.وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الولاية في اللغة.

المطلب الثاني: الولاية في الاصطلاح.

المبحث الخامس: الفروق بين المعجزات وكرامات الأولياء وأقسامه.وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفروق بين المعجزات وكرامات الأولياء.

المطلب الثاني: الفروق بين المعجزات وكرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والكهان.

❁ **المنهج المتبع في البحث:**

1. اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي لموضوع البحث، وقمت بجمع المادة العلمية من المصادر المعتمدة في البحث وهي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وعرضها على ما سبق في الخطة.
2. التوثيق العلمي للنقول والأقوال من مصادرها، واعتمدت في ذلك على الطبعات المذكورة في الفهرس.
3. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف الشريف، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني، ويكون ذلك في صلب البحث.
4. عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها، مقتصراً على الصحيحين أو أحدهما؛ إن كان فيهما أو في أحدهما، وإلا فمما تيسر من كتب الحديث، مكتفياً في ذلك بذكر رقم الحديث، أو الأثر، مع ذكر الحكم عليه من كلام أهل العلم.
5. وضع فهرس لأهم المراجع والمصادر في آخر البحث.

❁ **الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي يتوصل إليها الباحث.**

❁ **فهرس المراجع والمصادر.**

المبحث الأول: حقيقة الخارق للعادة.وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخارق للعادة في اللغة.

أولاً: الخارق للعادة مصطلح مركب من كلمتين، ولمعرفة معنى هذا المصطلح، لابد من معرفة معنى كل كلمة على حده.

أما الخارق في اللغة فهو مشتق من مادة خرق، والخَرْق: الشَّقُّ في الحائط والثوب ونحوه، ويقال: انْخرَقت الريح: هبَّت على غير استقامة.[1]

ثانياً: وأما العادة في اللغة فهي مشتقة من عَوَد، وعاد إليه الأمر إذا رجع، وهي بمعنى الدَّيْدَن.[2]

فيصلح أن يقال أن تركيب المصطلح في اللغة يدل على معنى الخروج عن المألوف، ومخالفة المعهود من الأمر والشيء والحال.

المطلب الثاني: الخارق للعادة في الاصطلاح.

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج73/10).

(2) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (مج440/1).

إذا جرَّدنا النظر إلى المصطلح كلفظ دون النظر إلى المسائل المتعلقة به نجد أن اللفظ الاصطلاحي للخارق للعادة ومعناه المستعمل في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وشرحه له لا يبعد عنده عن المقصود به في اللغة فهو يعرفه بأنه:" ما خرج عن الأمر المعتاد".(1)

إلا أنه كعادته رحمه الله ـــ وما له من باع واسع في استنباط الدلائل والتنبيهات العلمية الدقيقة حال الشرح والبسط لمعاني المصطلحات والعبارات العلمية ـــــ نجد أنه قد جمع في ثنايا شرحه وبسط مسائل الخارق للعادة عدداً من التنبيهات التي تتعلق بهذا المصطلح أوردها على النحو التالي:

1. أنه لم يرد في الكتاب والسنة لفظ الخارق للعادة، ولا تعليق حكم المعجزة بهذا اللفظ، ولم يستعمله السلف، وإنما ورد في النصوص لفظ الآية والبينة والبرهان على حدٍّ سواء، مراداً بها جميعاً المعنى الذي اصطلح المتأخرون على تسميته معجزة.(2)

فمن أمثلة ورود لفظ الآية ما جاء في شأن ما أوتيه عيسى ﷺ في قوله تعالى:{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـــي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}[آل عمران:49].

ومما جاء في لفظ البينة والآية معاً قوله تعالى{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـــذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيم} [الأعراف:73]

وأطلقت الألفاظ الثلاثة جميعها ـــــ الآية والبينة والبرهان ـــــ: على ما أوتيه موسى ﷺ في قوله تعالى: {حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيل قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِين وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِين} [الأعراف:105-108].

وقوله تعالى:{اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِين}[القصص:32].

2. أن وصف العادة وصف غير منضبط، فالعادة أمر إضافي، يختلف بحسب ما يُضاف إليه، فقد يعتاد قومٌ ما لم يعتده غيرهم.(3)

والصواب في العادة المقصود خرقُها، والتي هي محل البحث، أنها تختلف بحسب مَنْ يحصل الخرق على يديه:

فإذا قيل في معجزات الأنبياء أنها خارقة للعادة " فالمراد بذلك أنّها خارجة عن الأمر المعتاد لغير الأنبياء، وأنّها من العجائب الخارجة عن النظائر، فلا يُوجد نظيرها لغير الأنبياء".(4)

(1) ابن تيمية، النبوات (مج 165/1)، وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 311/11).
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 215/1)،(163/1- 173)، الجواب الصحيح (مج 412/5).
(3) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 867/2).
(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 173,518/1).

فالعادة التي تُخرق للرسل والأنبياء هي عادة الثقلين (الجن والإنس)؛ بدليل قوله تعالى:{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨٨]

والعادة التي تُخرق لأولياء الله ﷻ من غير الأنبياء والمرسلين والتي تعرف **(بالكرامة)** لا تخلو من أمرين:

1. أن تكون عادة الناس في زمنه.

مثل: الطيران في الهواء، ونحو ذلك، فقد كان ذلك من الخوارق في الأزمنة الماضية، بينما الحال الآن على خلاف ذلك، فلا يعد حصوله أمراً خارقاً للعادة.

2. أو عادة جنسه الذين يعيش فيهم.

كمن يُكرمه الله بطعام يؤتاه في فصل الصيف وهو من طعام الشتاء، فخلوُّ هذا البلد أو المكان الذي فيه الوليُّ من هذا الطعام لا يلزم خلوُّه من جميع أرجاء الأرض؛ لاختلاف الفصول والأحوال.

مثاله: الذي كان يحصل لمريم عليها السلام، فقد كانت تؤتى بالفاكهة في غير وقتها، لذا استغرب هذا الأمر زكريا ×، وقصَّ الله ذلك الشأن المستغرب في كتابه فقال ﷻ:{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب}{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء} [آل عمران:37-38].

" فلما كان الرزق لم يأتِ به بشرٌ، ولم يُسْعَ فيه السعيُ المعتاد قالت: "هو من عند الله"،[(1)] وقد نقل عن غير واحد من السلف أن المعنى: أنها تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

أما العادة التي تُخرق للكهنة والسحرة فإنها **عادة مَنْ سواهم**، من سائر الناس، فالساحر يخرِق عادة من ليس بساحر، والكاهن يخرِق عادة من ليس بكاهن.

فتحصَّل بعد بيان المراد بالعادة في باب المعجزات والكرامات، وأنها تكون خارقة لعادة أمثال من جرى الخرق على يديه، فانحصر تقسيم الخارق للعادة في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام:

1. خارق للعادة يحصل لنبي فيُسمَّى آيةً وبرهاناً وبيِّنةً.
2. خارق للعادة يحصل لعبدٍ صالحٍ متبعٍ لنبي فيُسمَّى كرامةً للوليِّ.
3. خارق للعادة يحصل لمدَّعٍ للنبوة أو مبتدعٍ أو كافرٍ أو فاجرٍ فيُسمى مخاريق شيطانية أو أحوالاً شيطانية.[(2)]

كذلك مما ينبغي التنبه إليه أن جنس خرق العادة معتاد للأنبياء وهو من لوازم نبوتهم، ومن الدلائل الدالة على صدقهم، وأن جنس خرق العادة ـــــ وإن كانت في كثيرٍ من الأحوال من باب إكرام الله سبحانه لأنبيائه وأوليائه ـــــ لا يستلزم الإكرام مطلقاً، فقد يقع إهانةً كما وقع لبعض المتنبِّئين، أو استدراجاً من الشياطين للضلاَّل والمنحرفين، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا.[(3)]

---

(1) ابن تيمية، جامع المسائل (مج 68/4).
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 173/1).
(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 595/1، 171)، (مج 841/2، 1084)، الصفدية (مج 228/1).

فيتلخَّص مما سبق أن لفظ الخارق للعادة لفظ حادث لم يعهد وروده في نصوص الوحي، ولا كلام سلف الأمة، وأن معناه متفق من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية المجردة عن لواحق المسألة، وأن العادة المقصودة في اللفظ تختلف باختلاف من يضاف إليه الخارق، أي: يقع الخارق على يديه.

المطلب الثالث: أقسام الخارق للعادة.[1]

بالرغم من تشعب مسائل الخوارق وما يتعلق بمباحثها ذات الجوانب المختلفة فقد اجتهد شيخ الإسلام ابن تيمية في تصنيفها إلى أقسام وفق مآخذ معتبرة على وجه أنبأ عن تصور دقيق لموضوع الخوارق ولواحقه، وذكر على وجه التمثيل لا الحصر شواهد عدة تصدِّق صحة تلك التقسيمات، وتبيِّن أمثلتها.

وكما هو معلوم من منهج شيخ الإسلام في كتاباته وأسلوبه المعهود في تناول المسائل، ما بين الإطناب والإسهاب والاختصار والتنبيه على أصول المسائل وأمثلتها، وغير ذلك من الطرائق التي أفاد منها الباحثون، فلم تجتمع تلك التقسيمات في موضع واحد أو مباحث معينة في كتاب، وإنما تناثر تقسيمه لهذه الخوارق في ثنايا كتبه مصرحاً بها أحياناً، وأغلبها على وجه الإلماح والإشارة، وكثيراً ما كان يحيل إلى مواطن أخرى من كتبه بسط فيها الكلام على تلك التقسيمات.

وقد جمعت تلك التقسيمات الواردة، وعملت على ضم النظائر لمثيلاتها، وردِّ النوع إلى مثله، وإفراد القسم عن قسيمه، وأعرضت عن ذكر بعض التفاصيل الدقيقة، فيما رأيت أنه يغني الإجمال فيه عن التفصيل، وخلصت إلى جعل تلك الأقسام على النحو التالي:

أولاً: تقسيم الخوارق باعتبار من تضاف إليه:[2]

وهو أول التقسيمات وأظهرها وأشهرها تداولاً في مصنفات أهل العلم قاطبة؛ لأوَّليَّة مأخذه، وقرب مستنبَطه، فهو يستند إلى التصنيف لمجرد النظر إلى الشخص الذي يظهر الخارق على يديه فقط، دون النظر إلى المعنى الذي تضمنه الخارق، أو غير ذلك من الاعتبارات المتعددة التي ستأتي لاحقاً، فحين النظر إلى مجرد الخارق باعتبار من يضاف إليه سنجد أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. فإذا أضيف الخارق إلى النبي فيُسمَّى آية وبيِّنة وبرهاناً، واصطلح على تسميته مُعْجِزَاً.
2. وإذا أضيف إلى الولي فيُسَمَّى كرامة.
3. وإذا أضيف إلى أصحاب الكهانة والسحر والشعوذة فيُسَمَّى حالاً شيطانياً.

وأرفع هذه الأقسام وأشرفها هو الأول؛ لشرف ومنزلة من تنسب إليه، ولعظم تلك الآيات، ويأتي القسم الثاني بعده في تلك الحيثية، وهما محبوبان لله شرعاً، واقعان قدراً، أما القسم الأخير: فهو ليس بممتدح في الشرع بل على الضد من ذلك، وإنما هو واقع بأمر الله الكوني.

---

(1) وبما أن المعجزات والكرامات داخلة في عموم الخوارق للعادات فتنطبق هذه التقسيمات فيها أيضاً عدا التقسيم الأول، لذا كانت الأمثلة الواردة فيها من هذا النوع.

(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 173/1).

ثانياً: تقسيم الخوارق باعتبار تعلُّقها بالعلم، والقدرة، والغنى:[1]

وهذا التقسيم قائم على النظر إلى المعنى المتعلق بالخارق، والأثر الأوضح منه حال حصوله، وحين يتجه النظر إلى الصفات التي انحصر حصول الخرق فيها نجد أن أعظم تلك الصفات، هي: العلم، والقدرة، والغنى،[2] فأنال الله من شاء من خلقه من هذه الثلاث بحسب ما أراد ﷻ، ولم يجعل الله سبحانه الكمال المطلق فيها لأحد إلا له وحده.

فله العلم المطلق سبحانه، وسع كلَّ شيء علماً، وتفرَّد بالقدرة البالغة والمشيئة النافذة لا معجز له، ولا رادَّ لمشيئته، ولا معقِّب لأمره ولا حكمه، واستغنى الله عن سائر خلقه، مؤمنهم وكافرهم، فلا ينفعه إيمانهم، ولا يضره كفرهم، قال تعالى:{ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا}[غافر:7]، وقال تعالى:{ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق:12]، وقال تعالى:{وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين} [العنكبوت:6]، وقال تعالى: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ}[الزُّمَر:7].

وقد خاطب الله نبيه بأن يبرأ من هذه الثلاث، فقال تعالى:{ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُون} [الأنعام:50].

فلما كانت هذه الثلاث بهذه المثابة، والخوارق متعلقة بصفات الكمال التي يجريها الله على يدي من شاء من خلقه، وفي حصولها لصاحبها وجه من التفضيل في متعلقها من هذه الثلاث فيما يحصل بها، ناسب أن يكون تقسيمها بهذا الاعتبار؛ لظهور وجه التفضيل فيها، وقد انحصر تقسيمها على هذا الوجه في الأقسام التالية:

1- **خوارق متعلقة بالعلم:**

من جهة حصول العلم للعبد على وجه لا يتأتي لغيره، بأن يعلم ما لا يعلم غيره، وهذا له طريقان:

أ) عن طريق الوحي، أو ما يلحق به من إلهام، أو فراسة صادقة، أو رؤيا صالحة.[3]

- ومثاله في المعجزات: إخبار النبي ﷺ بالأمور الغائبة ماضيها وحاضرها ومستقبلها على وجه التفصيل.

فقد حصل الإخبار منه ﷺ بتلك الأمور الغائبة مع أنه لم يشهدها ﷺ، فمن ذلك القصص التي وردت القرآن الكريم فقد جاءه بها الوحي، فأخبر عنها ﷺ مع أنه لم يشهدها، كقوله تعالى{ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون} [آل عمران:44]، وقوله تعالى:{ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُون} [يوسف:102].[4]

ومن السنة ما جاء عن عبد الله بن عباس ب قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم حدِّثنا عن خلال نسألك عنهن **لا يعلمهن إلا نبي**، فكان فيما سألوه: أيُّ الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة، قال:" فأنشدكم

---

(1) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 150/1)، الصفدية (مج 183/1)، مجموع الفتاوى:(مج 312/11-316، 322ــ327).

(2) صفات الكمال ترجع إلى ثلاث: العلم والقدرة والغنى، والقدرة إما على الفعل: وهو التأثير، وإما على الترك: وهو الغنى.انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 311/11) .

(3) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 865/2).

(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 147/1).

بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرِّمن أحبَّ الشراب إليه، وأحبَّ الطعام إليه، فكان أحبَّ الطعام إليه: لحمانُ الإبل، وأحبَّ الشراب إليه ألبانُها، فقالوا: اللهم نعم".(1)

○ ومثاله في الكرامات: قول عمر رضي الله عنه:" يا سارية الجبل" حين كان يخطب بالمدينة، وسارية رضي الله عنه على جيش المسلمين في ناحية فارس، وكاد العدو أن يفتك بهم، فألقى الله مقالة عمر رضي الله عنه في سمع سارية رضي الله عنه فأخذ بها فكانت الغلبة لأهل الإسلام.(2)

وهذه كرامة لعمر رضي الله عنه لا توازيها كرامة، فقد ألهم الله عمر رضي الله عنه أن يقول تلك العبارة، وهو في المدينة والجيش في فارس، والمسافة والبون بينهما عظيم، فعلم عمر بالحال الغائب بما قذف الله في قلبه من العلم، فقال تلك المقالة.

ب) أن يكون الخرق في متعلق ما يحصل به العلم: كالسمع والبصر.

بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، أو يبصر ما لا يراه غيره، حال اليقظة أو المنام.(3)

○ ومثاله في المعجزات: كسماع النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام حال اجتماعه بالصحابة دونهم.(4)

وقد حصل هذا كثيراً في حياته ﷺ، ونقل في السنة صوراً عديدة لوصف نزول الوحي عليه ﷺ، وعدم علم الصحابة بما يوحى إليه حتى يخبرهم به ﷺ، سواء كان الملك متصلاً به ﷺ باطناً فيكون كصلصلة الجرس، وينتابه أحوال من الثِّقل، وتغُّير اللون وغير ذلك، كما جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:" كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أُتْلِيَ (5) عنه رفع رأسه".(6)

أو جاء الملك متمثلاً في صورة البشر، كما كان يأتيه في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه، وقد سمِّي كلا النوعين في الشرع وحياً، وذلك لاشتماله على معنى الخفاء، لأن الحال الماثل أمام الرائي ـــ غير النبي ـــ فيه خفاء عظيم، لعدم علمه بالمرئي، أو عدم فهمه لما يسمعه، فيحتاج الرائي أن يعلم أن المرئي ملك، وأن يفهم ما في ذلك الصوت الذي هو كمثل صلصلة الجرس، ومن هذا الوجه كان تعلق الخارق بما يحصل به العلم من السمع والبصر.(7)

وكذلك من أمثلته: رؤيته ﷺ بيت المقدس وهو بمكة حين طلب منه المشركون أن يصفه لهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لمَّا كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه".(8)

---

(1) أحمد، مسند أحمد (277/4) رقم (2471)، حسَّنه محققو المسند.
(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 154/11).حسَّن إسناد القصة ابن حجر.انظر: ابن حجر، الإصابة (مج 53/3).
(3) انظر: ابن تيمية، الكيلانية (ص144).
(4) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 315/5).
(5) أُتْلِيَ عنه: أي ارتفع عنه، وفي لفظ آخر: أجلي، وفي لفظ انجلى عنه: أي أزيل عنه.انظر: النووي، شرح صحيح مسلم (89/15).
(6) مسلم، صحيح مسلم: ك/ الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي (952) رقم (2335).
(7) ابن تيمية، الرسالة الكيلانية (ص144)، مجموع الفتاوى (مج 401/12).
(8) متفق عليه، انظر: البخاري، صحيح البخاري: ك/ مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء وقول الله تعالى:" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى" (52/5) رقم (3886)، مسلم، صحيح مسلم: ك/ الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (95) رقم (170).

وأيضاً من أمثلته: عرض الصلاة والسلام عليه بعد مماته ﷺ ، وإبلاغ الملائكة له ذلك. [1]

وهذا الخرق الحاصل في متعلق العلم يعتقد المتصوفة أنه حاصل في نفس الإدراك لا في حقيقة الأمر، ولذلك يجعلون المعجزات من قبيل ما صُرف البشر عن مقابلته، وذلك من التعنُّت الظاهر، والتمحُّل البيِّن لرد حقائق النصوص دون القدرة على الإتيان بتأويل ينتهض لنصرة مقالتهم،فضلا عن شرحها وإيضاحها.[2]

واصطلح في باب الكرامات عند بعض أهل العلم على تسمية ما يتعلق بالعلم من هذه الخوارق: بالكشف، وما يتعلق بالسمع: بالمخاطبات، وما يتعلق بالبصر: بالمشاهدات.

وليس المراد بمصطلح الكشف هنا الكشف عند المتصوفة الذي يعرفونه بأنه:" شهود الأعيان وما فيها من الأحوال في عين الحق، فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية"[3]، وله صور عديدة، من صوره في الولايات التي هي محل الشاهد هنا أن المراد به: انكشاف الحجب بصفاء صفات السالك فيها.[4]

فهذا من المصطلحات التي عمد الصوفية من خلالها على تأصيل كثير من البدع، ولبس الحق بالباطل في هذا المقام، وادعاء العلوم الغيبية لمن تزعم ولايته، وإضفاء هالة عظيمة من التقديس على أمثال هؤلاء الذين هم في حقيقة الأمر أبعد الناس عن الله والعلم به؛ لادعائهم علم ما اختص الله به من الغيبيات ونحوها.

وباعتبار تأثير هذا الخارق المتعلق بالعلم وحصوله فإنه ينقسم إلى قسمين:

أ) خوارق علميَّة تؤثر في نفس صاحب الخارق.

وذلك بطاعته لله ورسوله، وتمسكه بالكتاب والسنة باطناً وظاهراً، وهذه هي غاية الكرامة، وهي لزوم الاستقامة.[5]

ب) خوارق علميَّة تؤثر في غير صاحب الخارق.

بأن يأمر بطاعة الله ورسوله؛ فيطاع في ذلك طاعة شرعية. [6]

2- خوارق متعلقة بالقدرة والتأثير في العالم العلوي أو السفلي.وهي على قسمين:

أ) خوارق متعلقة بالقدرة والتأثير في العالم العلوي أو السفلي ونفس صاحب الخارق.

كإسرائه ومعراجه ﷺ.[7]

---

(1) انظر:ابن تيمية،الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(ص216)،ابن تيمية،تلخيص كتاب الاستغاثة (مج 107/1).

(2) انظر: د. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي (ص966–967).

(3) انظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية (ص346).

(4) انظر: الكاشاني، المصدر السابق (ص346).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 298/11–299).

(6) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 323/11).

(7) متفق عليه، انظر: البخاري، صحيح البخاري: ك/ مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء وقول الله تعالى:" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى" (52/5) رقم (3886)، مسلم، صحيح مسلم: ك/ الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (95) رقم (170).

ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ.[1]

- ومشي العلاء بن الحضرمي ومن كان معه من الصحابة ي على الماء.[2]

ب) خوارق متعلقة بالقدرة والتأثير في العالم العلوي أو السفلي وغير صاحب الخارق.

- كالتأثير على غيره بإسقام أو إصحاح، ونحوه.كإبراء الأكمه والأبرص على يدي عيسى ﷺ .وذلك في قوله تعالى:{وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ} [آل عمران:49].
- وانشقاق القمر في حياته ﷺ.لقوله تعالى:{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ}[القمر:1].
- واهتزاز الجبل تحت قدميه ﷺ.[3]
- وفلق البحر لموسى ﷺ.قال تعالى:{ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}[الشعراء:63].
- وإسماع عمر ﷺ صوته لسارية ﷺ بفارس.

فبلوغ الصوت له مدى معتاد، وإيصاله لسارية من المدينة إلى فارس لاشك أنه خارق لذلك المعتاد المألوف.

3- خوارق متعلقة بالغنى.

معلوم أن الله سبحانه هو الغني وحده المتفرد بالغنى المطلق، وما سواه من الخليقة من البشر أو غيرهم فقير محتاج بالاضطرار إليه، ولكن قد يكرم الله بعض عباده بمنحهم شيئاً من الغنى عن بعض جنس الحاجات البشرية، كالاستغناء عن الأكل والشرب مدة، دون مشقة ولا عسر، وذلك من خصائص نبينا ﷺ، وهو ما يعرف بالوِصَال، وتواتر عنه ذلك،[4] فقد ثبت " أن النبي ﷺ واصل، فواصل الناس فشقَّ عليهم، فنهاهم، قالوا: إنك تواصل؟ قال: لست كهيئتكم، إني أظلُّ أُطْعَم وأُسقَى".[5] [6]

ثالثاً: تقسيم الخوارق باعتبار المقصود من حصولها:[7]

من عظيم آيات الله ﷻ اتساق هذا الكون وانتظامه بما فيه، " والرب تعالى في الحقيقة لا ينقض عادته التي هي سنته، التي قال فيها:{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} [الفتح:23]، وقال:{اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} [فاطر:43].[8]

ومعلوم أنه لا يمكن أن يكون ثم إخلال في ذلك النظام على وجهٍ خارقٍ للعادة إلا ومن ورائه ما وراءه من الحكم البالغة، والحجج النافذة، إذ لابد أن يكون هناك غرض يستدعي ذلك، ويصدق أن يكون هو المسوغ والباعث لحصوله.

(1) انظر: أحمد، مسند أحمد (126/4) رقم (2268)، حسَّنه محققو المسند.
(2) وذلك حين بعثه النبي ﷺ إلى البحرين.انظر: الطبراني، المعجم الأوسط (15/4) رقم (3495).
(3) انظر: البخاري، صحيح البخاري: ك/فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب (11/5) رقم (3686).
(4) ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 369/6).
(5) البخاري، صحيح البخاري: ك/ الصوم،باب: بركة السحور (29/3) رقم (1922).
(6) انظر: ابن تيمية، الصفدية (مج 183/1).
(7) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 84/1)، (مج 325/11).
(8) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 867/1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكل ما خرقه من العادات، فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات، فعادته وسنته لا تتبدل؛ إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل".[1]

ومن هذا الباب حسُن أن يتجه النظر في المراد من ذلك التغيير عن العادة المألوفة في النظام الكوني أو ما يتعلق بلواحق ذلك في الكائنات من البشر أو غيرهم، وبعد النظر إلى مجمل المقصود من حصول تلك الخوارق يظهر أنه لا يخلو ذلك من أحد أمرين:

1. أن يكون المقصود بها إقامة حجة الله على خلقه؛ لإقامة دين الله.[2]

وهو أشرف المقاصد، وغاية الغايات، وأرفعها؛ لشرف متعلَّقه، وعلو قدره، وهو إقامة الحجة وقطع المعذرة، فيظهر بتلك الخوارق دين الله؛ ليؤمن الكافر ويخلص المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فكانت فائدتها اتباع دين الله علماً وعملاً.

وهذا الوجه خاص بالمعجزات، فقد جعلها الله ﷺ مصدقة لنبوة الأنبياء والرسل، مظهرة للحق على أيديهم، تؤذن بأنها لا تكون إلا من عند الله.

لذلك لما رأى سحرة فرعون ما فعله موسى وأيقنوا أن ذلك ليس سحراً، لم يترددوا أو يتأخروا عن الإيمان بالله وحده، مع أنهم أتوا ليقارعوا بخارقهم خارق موسى وحجته، لذا وصف الله ﷺ حالهم ذاك فقال تعالى: {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} {قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} {قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه:69-72].

2. أن يكون المقصود بها حاجة العبد.

فقد جبل الله الخلق على احتياجهم إليه ﷺ على وجه الاضطرار، فمنه سبحانه وحده تلتمس كل الحوائج وتُرتجى، وقد يكرم الله من شاء من عباده بقضاء حوائجه بخارق، سواء تقدم ذلك طلب أو لم يسبقه سؤال، وهذه الحاجة تنحصر في أمرين:

أ) أن تكون بجلب منفعة يحتاج إليها: كالطعام والشراب وقت الحاجة إليه، سواء اختص الانتفاع بصاحب الخارق أو شمل غيره:[3]

ومما شمل حصول الانتفاع بالطعام والشراب صاحب الخارق وغيره:

- تكثير الطعام له ﷺ، وهذا مثال على المعجزات.[4]
- وتكثير الطعام لأبي بكر ﷺ، وهذا مثال على الكرامات.[1]

---

(1) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 869/1).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 465/16-466).

(3) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 141/1).

(4) انظر: مسلم،صحيح مسلم: ك/ الإيمان،باب:الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً(45)رقم (27).

وأما ما كان جلب النفع بإيجاد الطعام للمقصود بالكرامة دون غيره:

- فمثاله ما حصل لمريم عليها السلام، فقد قال ﷻ:{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب} {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء} [آل عمران:37-38].
- وكان خبيب بن عدي أسيراً للمشركين يؤتي بالعنب، وليس في مكة عنب.(2)

ب) أو تحصل بدفع مضرة عنه: ككسر العدو.

ومثاله: رميه ﷺ المشركين بالحصا وانكسارهم بذلك، كما ورد في قوله تعالى:"وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"[الأنفال: 17].(3)

رابعاً: تقسيم الخوارق باعتبار أسبابها ومآلاتها.(4)

الوقوف على المسببات والمقدّمات للخوارق، ثم النظر في الآثار المترتبة عليها أمر هام يجلّي كثيراً من الحقائق المتعلقة بها، فمعرفة المسبِّبات توقف على وجه حصول الخارق لمن جرى على يديه، بما يشكِّل تمهيداً للحكم على صاحب الخارق، ومن ثَمَّ معرفة المصطلح العلمي الذي يصدق عليه الخارق، معجزة أم كرامة أم حالاً شيطانياً.

كما أن معرفة الآثار تظهر الحكمة والفائدة المرجوة من حصول الخارق، وما أعقب ذلك من وجه الخير المتحصل أو الشر المندفع.

ويمتاز هذا الاعتبار بأنه لا يتجه النظر فيه إلى الخارق قبل وعقب حصوله ووقوعه فحسب، بل وما ينبني على ذلك من وصف الشرع للخارق بما يمثل محصلة أخيرة في الحكم عليه ذماً ومدحاً.

ولذا انقسمت الخوارق بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

1. خوارق مذمومة؛ لسببها أو مقصودها أو مآلاتها.

لكون أسبابها ومقصودها من الأعمال المنهي عنها شرعاً، إما نهي تحريم وإما نهي كراهة، فتُعين صاحبها على محرمات: مثل الفواحش، والظلم، والشرك، والقول الباطل، فهذا من جنس خوارق السحرة، والكهّان، والكفّار، والفجّار، وتكون سبباً للعذاب والنكال في الدنيا والآخرة، أو البغض والخروج عن رضوان الله ومحبته في الدارين.

ومن أظهر أمثلته: ما يجريه الله على يدي المسيح الدجال الذي قال عنه النبي ﷺ:" ويمرُّ بالخَرِبَة فيقول لها أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل (5)".(6)

---

(1) متفق عليه، انظر: البخاري، صحيح البخاري: ك/ الأذان، باب السمر مع الضيف والأهل (124/1) رقم (602)، مسلم، صحيح مسلم: ك/ الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره (45) رقم (2057).

(2) انظر: البخاري، صحيح البخاري: ك/ الجهاد، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل (67/4) رقم (3045).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 325/11).

(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 319/11-320)، ابن تيمية، النبوات (مج 160/1ـ163).

(5) يعاسيب: جمع يَعْسُوبُ، وهو: أَميرُ النَّحْل وذَكَرُهَا.انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (مج 368/3).

(6) مسلم، صحيح مسلم: ك/ الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (1177) رقم (2937).

والفرق بين السبب والقصد هاهنا: أن السبب يتعلق بالطريق الذي يحصل به الخارق، والمسلك الذي يؤدي إليه، وهو فعل السحر ونحوه، وأما القصد: فالمراد به الباعث على إتيان ذلك السبب ومباشرته.

وقد يتجه الذم للأمرين معاً: السبب والقصد، وقد ينفرد بالذم أحدهما، وبالمثال يتضح المقال:

فما اتجه فيه الذم للسبب والقصد معاً: كفعل السحر للتفريق بين الزوجين، سببه وقصده مذموم، فالسبب المتَّخذ هو السحر، والمقصود به كبيرة من أعظم المحرمات.

وما انفرد به الذم لأحدهما: حَلُّ السحر بالسحر، فالسبب المتخذ مذموم، بخلاف القصد منه: وهو حصول الشفاء.

وقد يتجه الذم للخارق باعتبار ظهور ذم سببه، وإن خفي أو تأخر في الظاهر المشاهد عاقبة مآله، كمن يحصل له شيء من الأحوالِ والتأثيراتِ، الحاصلةِ عن أسباب غير مشروعة: كالعبادات المبتدعة، فيحصل كذلك بسببها حال غير مشروع: كتملك مال أو غيره، وقد جرت سنة الله في عباده أن ذلك السبيل سيء المآل وخيم العاقبة، متعرّض صاحبه لأصناف من العقوبات غير المتناهية بحسب الجرم وعظمه، المتسلسلة من سلب الإيمان بترك الواجبات، والوقوع في الفسق والمبتدعات إلى الخروج عن حظار الدين إلى الإلحاد والزندقة.[1]

2. خوارق ممدوحة؛ لكون أسبابها ومآلاتها من الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، إما أمر وجوب أو استحباب، فتُعين صاحبها على البر والتقوى.

فهذه أحوال نبيّنا ﷺ، ومن اتبعه، خوارقهم لحجّة في الدين، مثل: إرسال نبيّنا إلى الجنّ يدعوهم إلى الإيمان، أو تكون خوارقهم حاجةً للمسلمين.

3. خوارق مباحة: غير مذمومة ولا ممدوحة في الدين.

وذلك بأن تُعين صاحبها على مباحات، فتكون من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً.

كمن يُعينه الجنّ على قضاء حوائجه المباحة؛ فهذا متوسط، وخوارقه لا ترفعه ولا تخفضه، من جهة مجرد حصولها دون النظر إلى أي اعتبار آخر.

وهذا يُشبه تسخير الجنّ لسليمان ﵇، كما قال تعالى:{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ}[سبأ:12]، وقال تعالى:{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ}[الأنبياء:82].

إلا أن خوارق سليمان قد اقتضت منه العمل لقاء ذلك الإكرام، وذلك بالشكر المأمور به في قوله تعالى:{ اعملوا آل داود شكراً}، فكان شاكراً لربه مثنياً عليه، عالماً بفضله وامتنانه كما قال تعالى:{ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ، وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}.[النمل: 40].

فمن هذا الوجه كانت خوارق سليمان ﵇ مقتضية في حقه مزيداً من القرب من الله، والعبودية له، بنسبة الفضائل والمنن والعطايا إليه سبحانه، وما أوجب الشكر والثناء على الله بها، وتسخيرها في ما يحبه الله.

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 22/305-306).

وأما إن كان هذا الخارق مباحاً لا منفعة من ورائه، فإنه حينئذ يكون كسائر المباحات التي لا منفعة فيها: كالعبث، واللعب.

المبحث الثاني: حقيقة المعجزة وشروطها وأقسامها وموقف الطوائف منها.وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المعجزة في اللغة.

المعجزة: اسم فاعل من العجز، وهو الضعف وعدم القدرة، يقال: عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ، أي: ضَعيف، ومنه قولهم: العجز نقيض الحزم؛ لأنه يَضْعُف رأيُه، ويقال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجِزْت عن طلبه وإدراكه، ومنه قوله تعالى:{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا} [الجن: 12]، وقوله تعالى:{وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِير} [العنكبوت: ٢٢]، و(الهاء) في المعجزة: للمبالغة.[1]

المطلب الثاني: المعجزة في الاصطلاح.

المعجزة في الاصطلاح:" هي خوارق العادات التي تختص بالأنبياء؛ للدلالة على صدقهم، مع سلامة المعارضة".[2]

فالاحتراز **بالخارق للعادة:** يخرج:

1. الأمور المعتادة التي ليست بخارقة للعادة، مثل: ما يصدر من الأنبياء من الأفعال، مثل: الأكل، والشرب، والركوب، والسفر وغيره، أو يقع في الكون من الأحوال الطبيعية، كطلوع الشمس، ونزول المطر في وقته، فهي ليست بمعجزات.[3] والمقصود بالعادات هاهنا: عادة غيرهم من الثقلين، كما سبق بيانه، والعادة هنا تثبت بمرة.[4]

والمراد بكونها **تختصُّ بالأنبياء:** أي لا توجد المعجزة إلا مع النبوة، فآية النبي هي برهان وعلامة ودليل صدقه، فلا توجد قطّ إلا مستلزمة لصدقه، فيُحترز بذلك عن:

أ) الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأولياء، فهي ليست بمعجزات، وإنما هي كرامات، حصلت لهم ببركة متابعتهم للأنبياء، ويمن سفارتهم.[5]

ب) ما يأتي به السحرة والكهان من الشعوذة، وهذا من باب أولى، فهذه لا تصدر إلا من شرار الخلق.[6]

(للدلالة على صدق الأنبياء): فــ" ليس مدلول الآيات هو مجرّد دعواه أنّ الله أرسلني، وإخباره عن نفسه بذلك؛ لأن ذلك معلوم بالحسّ لمن سمعه، وبالتواتر لمن لم يسمعه، بل صدقُه في هذا الخبر، وهو ثبوت نبوته، فالآية مستلزمة لصدقه، وثبوت نبوته".[7]

ودلالة المعجزة على صدق نبوة النبي تُعلم بالضرورة، وتُعلم بالنظر والاستدلال.[1]

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مج 232/4)، ابن منظور، لسان العرب (ج 369/5).

(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 143/1)،(مج 776/2)،(مج 848/2).

(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 173/1).

(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 800/2)(859/2).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 152/11).

(6) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 491/1).

(7) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 809/2، 849)،(مج 522/1ـــــ523، 669).

فأما حصول دلالة المعجزة على صدق النبي بالضرورة فإنــ " المعجزات تدل من حيث نزلت منزلة التصديق بالقول، والعلم بذلك يقع ضرورياً بقرائن أحوال: كالعلم بخجل الخَجِل، ووجل الوَجِل، وغضب الغضبان، وحرارة الحر، وفحوى كلام المخاطب المتكلم، ولا يتوقف العلم بما هذا سبيله على نظر واستدلال فيقبل عليه اعتراض".(2)

" وكثيرا ما يكون سبب العلم الحاصل في القلب غير الحجة الجدلية التي يناظر بها غيره، فإن الإنسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات بطريق وأسباب قد لا يستحضرها ولا يحصيها، ولو استحضرها لا توافقه عبارته على بيانها، ومع هذا فإذا طلب منه بيان الدليل الدال على ذلك قد لا يعلم دليلا يدل به غيره، إذا لم يكن ذلك الغير شاركه في سبب العلم، وقد لا يمكنه التعبير عن الدليل إن تصوره، فالدليل الذي يعلم به المناظر شيء، والحجة التي يحتج بها المناظر شيء آخر، وكثيراً ما يتفقان كما يفترقان".(3)

وأما دلالة النظر والاستدلال على صدق النبي: فلها صور عديدة، منها: أن سنة الله المطَّردة، وعادته المعروفة، وحكمته البالغة اقتضت تنزيه تأييده للكذاب بالمعجزة؛ لأن في ذلك من الضرر بالعباد ما تمنعه رحمته بهم، وفيه من سوء العاقبة ما تأباه حكمته لهم، فلا يُمَكِّن من معجزاته إلا من صدق فيها ليخبر بها عنه، فإذا عُلم ذلك وتحقق حصلت الثقة بمن اكتملت فيه شرائط النبوة.(4)

قال تعالى:" ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين"،[الحاقة: 44-47] وقال تعالى:" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً" [الإسراء: 74-75]، وقال تعالى:" أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك" [الشورى: 24].

وليس لازماً على النبي أن يحتج بالمعجزة على نبوته، فالنبي ﷺ " لم يحتج بالمسرى على نبوته، بل جعله مما يؤمن به فأخبرهم به؛ ليؤمنوا به".(5)

(مع سلامة المعارضة): أخرج ما يدَّعيه المتنبؤون الكذابون من الأمور الخارقة، وكذلك السحرة والكهان ونحوهم، فإنها لا تسلم من المعارضة، بل يعارضها أمثالهم من السحرة؛ لأنها من قبيل السحر والشعوذة.(6)

واصطلح أهل العلم المتقدمون كالإمام أحمد وغيره على إطلاق المعجزة على كل خارق للعادة، من معجزة وكرامة، بينما انتهج المتأخرون كابن عقيل وغيره التفريق بينهما بجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي.

---

(1) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 135/1)،(مج 884/2)، والمراد بالضرورة:ما اقتضى الحكم دون الحاجة إلى النظر والاستدلال.انظر: ابن تيمية، درء التعارض (مج 82/4).

(2) ابن تيمية، العقيدة الأصفهانية (ص264).

(3) ابن تيمية، المصدر السابق (ص217).

(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (ص 255-262).

(5) ابن تيمية، النبوات (مج 508/1).

(6) التوقيف على مهمات التعاريف (ص665).

وإطلاق المتقدمين إنما هو في حال إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، وإلا أُفرد كلٌّ بما هو له، ويعرف بهذا أن كلا الاستعماليين للمعجزة والكرامة من المتقدمين والمتأخرين له اعتباره ووجهه، ويصح حمل الوارد عن الجميع في ذلك ــــ كلٌّ بحسب مقامه وإيراده ــــ ووجه تسميتهم للكرامات بالآيات لدلالتها على نبوة من اتبعه الولي.[1]

وإن كان لفظ (المعجزة) بمعنى الأمر الخارق للعادة: لم يرد في كتاب الله، وإنما وردت لفظة (الآية) أو (الآيات) لتدل على هذا المعنى، كما في قوله جل ذكره: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} [البقرة: ٢١١]، وقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} [البقرة: ١١٨]، وقوله سبحانه:{ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا} [الإسراء:59].

المطلب الثالث: شروط المعجزة.

تُعَدُّ المعجزة من أعظم الأدلة الدالة على النبوة، المستلزمة لصدقها، وهي مختصةٌ بالأنبياء لا يشركهم فيها غيرهم، ولما كانت بهذه المثابة لزم أن يكون لها من الخصائص والشروط ما تتميز بها عن غيرها من سائر الخوارق، ومن الشروط التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية للمعجزة، ما يلي:

1. اختصاصها بالأنبياء، فهي خوارق جاءت على غير المعهود لدى غير الأنبياء، وهذا هو أبرز الشروط المتحققة في معجزات الأنبياء، فلهم خوارق لا يمكن أن يقع فيها الاشتراك مع غيرهم ممن هو دونهم، ممن يجري الله على يديهم خوارق.[2]

ومعلوم أن الله فضَّل بعض الأنبياء على بعض، وفضل سائر الأنبياء على غيرهم، فيلزم أن يكون ما يؤتاه النبي فائق ما يؤتاه غيره من أتباعه، وانتفاء هذا الوجه ــــ التماثل ــــ بين ما يكون للأنبياء وأتباعهم من الخوارق أعظم من انتفاء التفاضل المنصوص عليه بين النبيين؛ لأن دعوى المماثلة المطلقة بين ما يكون للأنبياء وأتباعهم من الخوارق تؤذن باقتضاء المماثلة بين التابع والمتبوع، وذلك ممتنع ومنتف يقيناً.[3]

وإن كان قد يقع نوع اشتراك في بعض الخوارق بين الأنبياء وأتباعهم، ولكنه لا يكون على وجه التطابق المطلق، كتكثير الطعام والشراب، وإحياء الموتى، وصيرورة النار برداً وسلاماً لأبي مسلم الخولاني، ونحو ذلك.[4]

2. ليس من شرط خوارق الأنبياء أن تكون متماثلة، فلا يجب ولا يلزم أن تكون المعجزات خارقة لعادات الأنبياء، أي: أنه لم يعهد ذلك الخارق في عادات الأنبياء، بل قد يجوز أن تكون تلك المعجزات خارقة أيضاً لعاداتهم، فليس من شرط آيات الأنبياء التماثل والتشابه المطلق دون اختلاف، فقد يشتركون في بعض الآيات، وقد يكون بعضها أعظم من بعض.[5]

فيعلم بهذا أن المقصود بهذا الشرط نفي الوجوب لا الجواز، فيجوز أن تكون خوارق الأنبياء خارقة لعادات الأنبياء، من باب اختصاص كل نبي بآية، وهو أكثر آيات الأنبياء.[1]

---

(1) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 419/5)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: قاعدة في المعجزات والكرامات (مج 311/11).

(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 508/1، 173)،(مج 852/2).

(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 866/2).

(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 866/2)(مج 121/1).

(5) انظر:ابن تيمية،النبوات(مج492/1ــ493، 517ــ519)(مج776/2، 1082)، الجواب الصحيح(مج 434/5).

3. سلامتها من المعارضة.(2)

فلا يمكن أن تعارض خوارقهم بشيء مطلقاً، فلا يمكن لغيرها مناقضتها البتة، وهي قاضية بإبطال كل ما يناقضها.

وقد جعل الله كتابه حجة قائمة لا تعارض، فقال تعالى:" أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين" [الطور:33-34]، وقال تعالى:" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".[هود:13]، وقال تعالى:" وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين.أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".[يونس:37-38] (3)

وهناك بعض الضوابط اشترطها البعض، ورأى عدَّها من الشروط، وهي قد تقع في بعض الخوارق، ولكنه لا يلزم من وقوعها أن تكون مشترطة في الجميع، فالصحيح خلاف ذلك، لذا يحسن بعد ذكر الشروط السالفة أن ينبه عليها، وهي التي تسرد كالتالي:

1. أن تكون مقترنة بدعوى النبوة، لذا يجب (4) عند القائل بذلك أن يختص ظهور المعجزة على يد النبي.

وهذا الشرط لا يستقيم، فليس الاقتران بدعوى النبوة وزمانها بشرط، فلا يجب أن تكون المعجزة في محل النبوة، ولا زمانها، ولا مكانها.(5)

وهذا لا يتعارض مع ما تقدم تقريره من أن المعجزة خاصة بالنبي كما أن الكرامة خاصة بالولي، إذ المقصود به أنَّ ظهور المعجزة قد يتأخر عن محل وزمان ومكان النبوة التي حصل فيها الإخبار بها من ذلكم النبي، كما حصل في كثير من معجزاته ﷺ التي أخبر بها وحصلت بعد وفاته، كالفتوحات الإسلامية، وغيرها.

2. احتجاج النبي بها.

والصواب أنه ليس لازماً على النبي أن يحتج بالمعجزة على نبوته، ولا بمثيلاتها، ولا تقريع من خالفه بها.(6)

فالنبي ﷺ " لم يحتج بالمسرى على نبوته، بل جعله مما يؤمن به فأخبرهم به؛ ليؤمنوا به".(7)

3. من شرط آيات الأنبياء أن تكون خارجة عن مقدور الملائكة.

وهذا لا يصح؛ لأن الأنبياء لم يرسلوا إلى الملائكة، وإنما أرسلوا إلى الثقلين، وإنما الشرط أن تكون معجزاتهم خارقة لعادات من أرسلوا إليهم من الثقلين.(8)

---

(1) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 854/2).
(2) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 500,195,144/1، 559,502).
(3) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 423/5-424).
(4) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 604/1).
(5) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 852/2، 984).
(6) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 604,498/1).
(7) ابن تيمية، النبوات (مج 508/1).
(8) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 502/1)،(مج 864/2).

4. يشترط في المعجزة التكرار.[1]

وهذا ليس بصواب، لأن العادة تثبت بمرة كما سبق بيانه، وما كان خارقاً لها مخالفاً لانتظامها فلا يشترط فيه أكثر مما يشترط لثبوت العادة التي يخرقها.

وسيأتي في الكلام على تقسيم المعجزات بعدة اعتبارات والتمثيل لكل اعتبار بما يناسبه ما فيه زيادة بيان وإيضاح لهذه الأمور السالفة الذكر، ومدى صحة اشتراطها أو عدمه.

المطلب الرابع: أقسام خوارق الأنبياء.

تفضل الله ﷻ على أنبيائه بإعانتهم بوجوه من التأييد والنصرة، وتعددت أشكال ذلك وتكاثرت أضرابه، وكانت خوارقهم وآياتهم وبيناتهم من أبرز ذلك وأوضحه، وقد جاءت تلك البراهين على طرائق عدة، وأصناف شتى، ووجوه متغايرة، ويمكن أن تقسم باعتبارات عدة، منها:

أولاً: تقسيم خوارق الأنبياء باعتبار زمان وقوعها.[2]

تقدم البيان لانتفاء لزوم الارتباط بين المعجزة وزمانها، وأنه لا وجه لاشتراط العلاقة بينهما، فليس من شرط المعجزات أن يختص وقوعها بزمان النبوة؛ لأن المقصود بالمعجزة تحقيق الغاية منها، بدلالتها على صدق صاحبها، مستلزمة لنبوته، وذلك مرادٌ حصوله دونما تقييد بزمان، فلا يقتصر أن يكون مراداً في زمان النبوة فحسب.[3]

ومن هذا الباب فإن النظر في شأن الزمان وصلته بالمعجزة ينحصر إلى تقسيم خوارق الأنبياء بهذا الاعتبار إلى الأقسام التالية:

1. خوارق قبل ولادتهم.

وهي تُعَدُّ بمثابة المقدّمات والتوطئات على مَقْدَمِ صاحب الخوارق، ولا تسمى بالمعجزات، وإنما يطلق عليها اسم الإرهاص.

وقد نقل فيها الكثير من الأخبار ولكن أوثق ما نقل في ذلك مما يتعلق بالنبي ﷺ خروج نور من أمه ﷺ حين وضْعِه، وخروجه للدنيا، يدل لهذا ما ورد عن أبي أمامة ﷺ أنه قال:" قلت يا نبي الله: ما كان أول بدء أمرك ؟ قال دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ، أضاءت منها قصور الشام".[4] [5]

2. خوارق حال حياتهم، وهي قسمان:

أ) خوارق قبل إنبائهم.

كحادثة شق صدره ﷺ، فقد وقعت له هذه الحادثة مرتين، إحداهما: قبل أن يوحى إليه، وذلك حين كان النبي ﷺ صغيراً يلعب مع الصبية، في بادية بني سعد مع مرضعته حليمة.

---

(1) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 2/800، 859).
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 1/142)، (مج 2/794)، الجواب الصحيح (مج 6/380).
(3) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 2/865).
(4) أحمد: مسند أحمد (36/595) رقم (22261)،
(5) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 1/132).

فقد روى أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال:" هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه،ــــ يعني ظئره ـــــ[1]، فقالوا: إنَّ محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون،[2] قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره".[3]

فظاهر قوله:" وهو يلعب مع الغلمان" صريح في الدلالة على وقوع تلك الحادثة قبل إنبائه ﷺ.

ب) خوارق بعد إنبائهم، وهي كثيرة، كإنزال القرآن عليه، والإسراء والمعراج، وغيره.

3. خوارق بعد مماتهم.[4]

ويدخل في هذا كل ما أخبر عنه ﷺ من أشراط الساعة التي وقعت بعد وفاته ﷺ، كإخباره ﷺ بالنار التي تخرج من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى.[5]

ثانياً: تقسيم خوارق الأنبياء باعتبار تأثيرها في الوجود والعدم (هيئة وقوعها).[6]

يتجه النظر في هذا التقسيم إلى عين الخارق ونفس هيئة وقوعه، وشكل ذلك وصورته، ويمتاز هذا التقسيم بأنه من أكثر التقسيمات دلالة في التأثير على من وقع الخرق بين يديه، لما فيه هول الحال وعظم المشاهَد بتغيُّر العادة بخرق الخارق لما انتظم في شأنها، وما حصل لسحرة فرعون من أعظم الشواهد على صدق ذلك التأثير.

وجملة خوارق الأنبياء من هذا الوجه ترجع إلى ثلاثة معان:

1. إيجاد معدوم، بأن يكون حصول الخارق بإيجاد شيء منعدم.

مثل: خروج الناقة من الجبل بدعاءِ صالح ﷺ، وهذه الآية لم يؤتاها أحد من الأنبياء غيره.

قال الله تعالى:{قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِين مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين}{قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُوم} [الشعراء:153-155]

وعن جابر قال لما مر رسول الله ﷺ بالحِجْر،[7] قال:" لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم صيحةٌ

(1) الظئر: هي المرضعة.انظر: الزبيدي، تاج العروس (مج 460/12).
(2) منتقع:أي متغير لون وجهه من الفزع.انظر: الزبيدي، تاج العروس (مج 282/22).
(3) مسلم، صحيح مسلم: ك/، باب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (91) رقم (162).
(4) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 149/1).
(5) متفق عليه، انظر: البخاري، صحيح البخاري، ك/ الفتن، باب: خروج النار (58/9) رقم (7118)، مسلم، صحيح مسلم، ك/ الفتن، وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه من البلاء (1164) رقم (2902).
(6) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 145/1).
(7) الحِجْر: هي ديار ثمود، قوم صالح عليه السلام.انظر: ابن حجر، فتح الباري (529/1).

أهمد الله ﷻ مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ﷻ، قيل: مَنْ هو يا رسول الله ؟ قال: هو أبو رِغَال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه".(1)

2. أَو إِعدام موجود.

مثل: إِبراءِ الأَكمه والأَبرص بدعاءِ عيسى عليه السلام، كما حكى الله عنه ذلك في قوله تعالى:{ وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله}.

3. أَو تحويل حال موجود.

مثل: قلب عصا موسى عليه السلام ثعباناً، كما قال تعالى:{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِين} [الشعراء:32].

ثالثاً: تقسيم خوارق الأنبياء باعتبار العموم والخصوص.(2)

يتعلق هذا التقسيم والذي يليه بعين الخارق وذاته وجنسه مضافاً إليه حيثية العموم والخصوص، والمقصود بالعموم والخصوص هنا: التفرد والاشتراك في عين الخارق ونفسه، أو عدم ذلك لدى جميع الأنبياء، فالنظر يتجه في هذا التقسيم إلى هذا المعنى، واجتباء الله أنبيائه بخوارق اشتركوا فيها جميعاً، وما حبا بعضهم دون بعض من ذلك، فانحصر تقسيم خوارق الأنبياء بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

1. خوارق مشتركة بين جميع الأنبياء.

أي: أن عين الخارق قد تكافأ فيه الأنبياء جميعاً وتساووا في حصوله، دونما تفريق وتفاضل بينهم، وإنما اشتركوا فيه جميعاً، مثل: الإخبار بغيب الله، قال الله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [الجن:26–27]، فقد اتفق الأنبياء جميعاً على الإخبار عن الله سبحانه كلٌّ بما أذن له من ذلك، وهذا يوضح معنى المراد بالاشتراك هنا: وهو الاشتراك في جنس الخارق لا قَدْره، فإن جنس المخبَرات واحد بين الأنبياء، ولكن لم يتفق كل نبي في قدر المخبر به عن الله، كما قال تعالى لنبينا ﷺ:{ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورسلاً لم نقصصهم عليك} [النساء:164]، وقال تعالى:{ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك }.[غافر:78](3)

2. خوارق مشتركة بين بعض الأنبياء.

مثل: إحياء الموتى، فقد اشترك فيها: المسيح، وموسى، وإلياس ‡.(4)

3. خوارق خُصَّ بها نبيٌّ واحد، وهي أكثر معجزات الأنبياء.

مثل: تخصيص موسى عليه السلام بالعصا واليد، وفرق البحر.

ومثل: انشقاق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع: لنبينا محمد ﷺ.(1)

(1) أحمد، مسند أحمد (66/22) رقم (14160).قوى إسناده محققو المسند.
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات(مج 517/1)(مج 776/2).
(3) انظر: ابن تيمية، الصفدية (مج 182/1).
(4) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 170/1)،(مج 807/2)، الجواب الصحيح (مج 17/4)(مج 434/5).

رابعاً: تقسيم خوارق الأنبياء باعتبار بقائها وزوالها.(2)

سنة الله الماضية وعادته الجارية قضت بقَسم الموجودات من جهة الديمومة والفناء إلى وجهين: باق، وفانٍ، ولم تخل تلك السنة التليدة من أن تلقي بظلالها على آيات أنبيائه وبراهينهم، فعادت هي كذلك مقسمة بهذا الاعتبار إلى صنفين، هما:

1. ما مضى، وصار معلوماً بالخبر: كمعجزات موسى وعيسى.
2. ما هو باق إلى يوم القيامة: كالقرآن الكريم.

خامساً: تقسيم خوارق الأنبياء باعتبار مقصودها.(3)

القصد والغاية هنا هما لُبُّ الغرض من خرق المعتاد ولُبابه، وخلاصة الشأن في تغيير المعهود وثلم انتظامه، ولا شك أن الله تعالت قدرته له الأسرار البديعة والحكم العظيمة التي لا تنفك عن أفعاله ولا تتخلف عن مراداته، والتي هي متحققة لا محالة، وجلَّ عن أن يَقْصُرَ شيء من أفعاله عن تحقيق مراداته، فضلاً أن يكون شيء من أفعاله خالياً من مقصود جليل، ومبتغى عظيم، ومن هذا الوجه وبهذا الاعتبار فإنَّ خوراق الأنبياء لا تنفك أن يكون مراداً بها أحد أمرين جليلين، هما:

1. الإكرام، والدلالة على صدق النبوة: كرؤيته ﷺ الآيات الكبرى ليلة الإسراء.(4)

فلم يكن الإعجاز في ذلك الحدث العظيم في قطع المسافة البعيدة في الزمن الوجيز ـــــ مع ما في ذلك من المكرمة والاحتفاء ـــــ فحسب، بل وليطلعه الله ﷻ على تلك الآيات العظيمة؛ ليخبر بها ﷺ، فيؤمن الناس بها، لذا قال الله تعالى:{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم:15-18].

وقال تعالى:{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء:60]. قال ابن عباس ب:" هي رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس".(5)

2. مجرد الدلالة على صدق النبوة، مثل: انشقاق القمر، وقلب العصا حيَّة.

فقد كان المقصود بتلك الخوارق وأمثالها الدلالة على صدق النبوة، فخوارق الأنبياء آيات على نبوتهم وأدلة عليها وعلى صدقها وصحتها،" والدليل لا يكون دليلاً حتى يكون مستلزماً للمدلول، متى وُجد وجد المدلول".(6)

---

(1) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 821/2، 852).وانظر: صفحة (12) من هذا البحث.
(2) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 420/5).
(3) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 147/1)، (مج 1084/2).
(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 147/1).
(5) البخاري، صحيح البخاري: ك/ مناقب الأنصار، باب المعراج (54/5) رقم (3888).
(6) ابن تيمية، النبوات (مج 144/1).

المطلب الخامس: موقف الطوائف من المعجزات.

سبق الإشارة في مطلع الحديث عن مسألة الخارق للعادة، بأن عدم تحرير معناه الاصطلاحي أودى بالاختلاف في بيان المقصود به فيما يناسبه من نصوص الشرع ودلالاته، ولا شك أن ذلك الاختلاف في أصل المسألة ألقى بظلاله ورمى بأحماله في تحرير حقيقة ما كان من تلك الخوارق خاصاً بالأنبياء الكرام، وأدى إلى تغاير أقوال الطوائف وتعددها في هذه المسألة إلى أربع مقالات، سردها في النقاط التالية:

1. من اعتقد التصديق بمعجزات الأنبياء، والإقرار بها، وأنها من الأدلة العظيمة على صدق الأنبياء، وأن الله سبحانه يختصهم بمعجزات لا تكون إلا لهم، ولا تكون لغيرهم.وهو قول أهل السنة والجماعة.

2. من جعل مسمَّى المعجزة هو الحدّ المطابق لخرق العادة، طرداً وعكساً، وأنه لا آية على صدق الرسول غيرها، فلا يجوز ظهور خارقٍ إلاّ لنبيٍّ.وهؤلاء هم المعتزلة.(1)

والتزموا طرداً لهذا: إنكار أن يكون للسحر تأثيرٌ خارجٌ عن العادة؛ مثل أن يموت ويمرض بلا مباشرة شيءٍ، وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تُخبر ببعض المغيبات، وأنكروا كرامات الأولياء.(2)

3. من جعل جنس خرق العادة واحد، فيكون للنبي مثل ما يكون للولي وغيره، واشترطوا للمعجزات شروطاً أربعة.وهؤلاء هم الأشاعرة.(3)

فيجوز عندهم أن تكون كرامات الأولياء، وجنس ما للسحرة والكهان من الخوارق آية للنبوة متى اقترنت بها دعوى النبوة، إلا أنهم يقولون أن ذلك غير واقع؛لأن الصالح:لا يدّعي،والساحر والكاهن لو ادّعى النبوّة،لكان يُمنع من ذلك،أو يُعارض بمثله.

والشروط التي اشترطوها للمعجزة هي:

أ) أن تكون المعجزة خارقةً للعادة.

ب) اقترانها بدعوى النبوة وهو التحدي.

وهذا من أبطل الشروط؛ لأنّ النبي ﷺ لم يكن يحتجَّ بكل ما يظهر على يديه من الآيات، ويتحدّى الناس بالإتيان بمثلها، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصّة، وعامة آيات الأنبياء لم يكن يُتحدى بها.(4)

ج) سلامتها من المعارضة، وعجز الناس عن المعارضة مع أنه معتاد لا خارق للعادة.وهو أخص شروطها عندهم.

د) أن تكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه.(5)

وحقيقة قولهم وخلاصته: أن المعجز إنما هو منع الناس من المعارضة بالمثل، سواء كان المعجز في نفسه خارقاً أو غير خارق.(1)

---

(1) انظر: عبد الجبار، القاضي، شرح الأصول الخمسة (ص568-572).

(2) انظر: البغدادي: أصول الدين (ص209)، ابن تيمية، النبوات (مج 485/1).

(3) انظر: الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص262)، البغدادي: أصول الدين (ص207)،

(4) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 541/1)، (مج 794/2).

(5) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 133/1ـ134، 216ـ 225، 486، 600,534ـ606).

ولقول الأشاعرة في المعجزات صلة وثيقة بأصل مقالتهم في القدر: بأن المؤثر في الحوادث هو قدرة الله فقط، ولا أثر لشيء غير ذلك، فلذلك كانت هذه المعجزات من سبيل الأمور التي علم اقترانها في العادة، فإنَّ العادة جارية بأن يأكل الإنسان فيشبع، ويشرب فيروى، ويضرب بالسيف فيقطع، فكل ما كان من باب المعجزات فهو من هذا القبيل.(2)

ونفاة الصفات كالأشاعرة والمعتزلة يرون أنه لا دليل على صدق الرسول سوى المعجزة، فلو لم تكن دالة على ذلك، للزم منه عجز الباري عن تصديق الرسل، وهذا من القصور في الاحتجاج على صدق الرسول، فهناك دلائل عديدة تدل على ذلك، بل كل ما دل على أنه رسول الله من معجزة وغير معجزة يدل على صدقه؛ وقد قال ﷺ:" فإني لن أكذب على الله ﷻ" (3) والنصوص الشرعية كما تدل على إثبات الصانع كذلك تدل على المعجزة، ولكنه لا يمكن عند نفاة الصفات الإقرار بالصانع أو إثبات حدوث العالم، أو إثبات النبوة إلا بنفي جميع الصفات أو بعضها، لأنه لو قامت به الصفات للزم أن يكون محدثاً.(4)

وأصل خطئهم وأُسُّه الذي أودى بهم إلى مقالتهم الباطلة في المعجزة أنهم لما رأوا أن آيات الأنبياء خارقة للعادات، اعتقدوا أن كل ما خرق العادة فهو آية للنبي، ولم يفرقوا بينه وبين غيره من خوارق الشياطين بفروق حقيقية، لذا التبس عليهم الأمر وضلوا في هذا الباب، فلم يقدروا قدر النبوة ولا آياتها قدرها.(5)

ولم يهتد كل من المعتزلة والأشاعرة إلى ضبط معنى المعجزة بضابط يميّز بينها وبين غيرها، واقتصروا في وصف المعجز بكونه خارقاً للعادة، والحكم على الشيء بأنه معجزٌ بمجرد كونه خارقاً للعادة ليس بكاف من وجهين:(6)

أ) أن خرق العادة لا ضابط له،فإنّ كون الشيء معتاداً وغير معتاد أمرٌ نسبيّ إضافيّ،ليس بوصف مضبوط تتميّز به الآية،بل يعتاد هؤلاء ما لم يعتد هؤلاء؛ مثل كونه مألوفاً، ومجرَّباً، ومعروفاً،ونحو ذلك من الصفات الإضافية،وقد سبق بيانه.

ب) أنّ مجرّد خرق العادة أمر مشترك بين الأنبياء وغيرهم من الصالحين والسحرة والكهان، فلا يفيد اختصاصهم بها.(7)

" فالطائفتان(أي: المعتزلة والأشاعرة) أدخلتا في الآيات ما ليس منها،وأخرجت منها ما هو منها: فكرامات الأولياء،وأشراط الساعة من آيات الأنبياء،وأخرجوها،والسحر والكهانة ليس من آياتهم، وأدخلوها، أو سوّوا بينها وبين الآيات، بل ونوابها".(8)

4. من جعل المعجزات من قوى النفس، والفرق أنّ النبيّ والصالح نفسُه طاهرةٌ يقصد الخير، والساحر نفسُه خبيثةٌ، وأما الفرق بين النبي والصالح على قول هؤلاء فمتعذّرٌ، وحقيقة هذا القول نفي الخوارق للأنبياء والأولياء مطلقاً.وهو قول الفلاسفة.(9)

وقد جعل الفلاسفة للنبوة أربع خصائص، وتُعَدُّ السبب في حصول الخوارق عندهم، وهي:(1)

---

(1) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 242/1).

(2) انظر: ابن تيمية، الصفدية (مج 1/ 148).

(3) مسلم، صحيح مسلم: ك/ الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (961) رقم (2361).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 311/6-312)،(191/15)، درء التعارض (مج 53/9)، جامع المسائل (مج 40/4).

(5) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 828/2)، (مج 1036/2-1040).

(6) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 173/1–174).

(7) انظر: ابن تيمية، النبوات(مج 484,214/1)، (مج 789/2، 829، 853، 867).

(8) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1076/2).

(9) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 137/1).

1. التمكن من ترك الغذاء مدة؛ لانشغال النفس بما يعرض لها من محبة أو خوف ونحو ذلك، ولذلك وجد فيهم من تعرَّض لأن يصير من الأنبياء بممارسة تلك الفعال كالسهروردي وابن سبعين.

ومعلوم أن النبوة لا تحصل بالاكتساب، ولو كانت تحصل بذلك لم تكن بتلك الأعمال، ولكنها اصطفاء من الله ﷺ، قال تعالى:{ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس}[الحج: 75].(2)

2. القوة النفسانيَّة القدسيَّة، وهي قوة الإدراك والعلم: وهي القوة التي يُنال بها العلم، فيعلم الأنبياء بهذه القوى ما لا يتمكن غيرهم من العلم به، فيعلمون الغيب في اليقظة كعلمهم له في النوم، وأنهم إنما تلقَّوا علومهم من تلك القوى النفسانية.

فعلى قولهم: ليس لله وحي وكلام يليق بجلاله تكلم به فأُبلغ لأنبيائه، ولم يتلقَّ الأنبياء الوحي من الملائكة الموكلين به، بل هم صفات أعراض تقوم بنفوس الأنبياء، وتُخيِّل لهم ما يحصل، كما يتخيل الى النائم ما يراه، بما يعني أنه ليس لما أخبر به الملائكةُ الرسلَ حقيقة في الخارج، وهذا هو حقيقة الكذب في نفس الأمر، ولكن لعظم ذلك الوصف وعدم تقبله فإنهم يتمحَّلون في التعبير عنه" بأن الرسل لم يخبروا بالحقائق بل ذكروا من التمثيل والتخييل في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما تنتفع به العامة، وأما الحقيقة فلم يخبروا بها، ولا يمكن إخبار العامة بها".(3)

وهذا الشرط باطل، فقد دل الشرع على أن الملائكة الكرام أحياء ناطقون، خارجون عن قوى البشر، وعن العقول، والنفوس، وفي النصوص مما يبطل هذه الفرى كثير، كقوله تعالى:{ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى" [النجم: 5-7]، وقوله تعالى:{ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم".[التكوير:19-25]

كما دل الشرع على أن الله يوحي إلى رسله، ويكلم من شاء منهم، كما قال تعالى:{ وكلم الله موسى تكليماً"[النساء:164]، وقال تعالى:{ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء".[الشورى:51].

3. القوة الجسمانية العنصرية.

وهذا باطل لأن خوارق الأنبياء خارجة عن قوى نفوس البشر وقدرتهم وإرادتهم وعلمهم، فمن تلك الخوارق ما لا يكون للنبي صلة به من حيث الوجود سبقاً أو لَحَقّاً، فضلا عن الشعور به، أو الإرادة له.

فقد لا يكون النبي شاعراً بالخارق، أو مريداً له حال وقوعه: كما حصل حال ولادته ﷺ، ومنها ما يكون قبل وجوده، ووجود قدرته: كقصة أصحاب الفيل، وسائر الإرهاصات، ومنها ما يكون بعد وفاته مطلقاً: كأشراط الساعة ونحوها، فهذا وغيره يقرر بطلان حصول الخوارق من هذه القوى الجسمانية العنصرية.(4)

---

(1) انظر: ابن سينا: الإشارات (مج 853/4)، (مج 900/4)، ابن سينا، الإلهيات من كتاب الشفاء (ص490)، ابن تيمية، النبوات (مج 504/1)،(مج 695/2)، الرد على المنطقيين (ص347، 528)، الصفدية (مج 165/1)،(مج 227/2).

(2) انظر: ابن تيمية، الصفدية (229/1).

(3) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 177/1)،(مج 203/2، 227).

(4) انظر: ابن تيمية، الصفدية (مج 218/1-219).

4. القوّة الفلكية مع القوى الجسمانية أو النفسية، وهي قوة الحركة والعمل: وهي تأثير نفسه في هيولي [1] العالم، فتؤثر بالزلزلة وإنزال المطر ونحو ذلك.[2]

وهذا باطل قطعاً؛ لأنه علم بالاضطرار أن الله قرر أمر الخوارق بشواهد عدة تدل على أنها خارجة عما يدَّعونه من وقوع الخوارق بالاشتراك بين القوة الفلكية وقوى النفس أو الجسم: كإحياء الله الموتى من الآدميين مرة بعد مرة، وإحياء البهائم بعد موتها، وإحياء المسيح ﷺ للموتى، وإحياء الطيور وإتيانها لإبراهيم ﷺ سعياً، وغير ذلك من الآيات العظام.[3]

وتبين بما سبق مدى انحراف الطوائف في بيان الخارق للعادات، وتعدد مقالاتهم، واختلاف الأصول التي بنيت عليها تلك المقالات، مما أدى إلى بعد مقالاتهم عن إصابة الحق في هذا الباب الذي هدى الله إليه أهل السنة؛ لموافقتهم النص الصريح والعقل الصحيح.

المبحث الثالث: التعريف بالكرامة وشروطها وموقف الطوائف منها.وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الكرامة في اللغة.

الكَرَامَةُ: اسْمٌ مَصْدَرٍ للإِكْرَام، ـــــ يوضَعُ مَوْضِعَه ـــــ مِثْلُ الطاعَة للإِطاعَة، وأَكْرَمَهُ إِكْرَاماً وكَرَّمَهُ تَكْرِيماً: عَظَّمَه ونَزَّهَهُ، والاسْمُ مِنْهُما: الكَرَامَةُ، والكَرَمُ لا يُقالُ إلا في المَحَاسِنِ الكَبِيرَةِ،كإِنْفَاق مَالٍ في تَجْهِيزِ غَزَاةٍ، وتَحَمُّلِ حَمَالَةٍ يُوقَى بِهَا دَمُ قَوْمٍ.[4]

المطلب الثاني: الكرامة في الاصطلاح.

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يجريه الله على يد بعض الصالحين من أتباع الرسل إكراماً من الله له، ببركة اتباعه للرسل صلوات الله وسلامه عليهم.[5]

فقولنا: **(**أمر خارق للعادة**)**: أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

(وغير مقرون بدعوى النبوة**)**: أخرج معجزات الأنبياء.وإن كان لا يشترط في المعجزة اقترانها بدعوى النبوة، كما سبق بيانه.

(ولا هو مقدمة لها**)**: أخرج الإرهاص: وهو كلُّ خارق تَقَدَّم النبوة.[6]

إثبات الكرامة:

" كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة، عن الصحابة والتابعين وغيرهم " [1] ومن ذلك:

---

(1) الهيولي:" لفظ يوناني، بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية".الجرجاني، التعريفات (ص321).

(2) انظر: ابن تيمية، الصفدية (مج 177/1).

(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 185/1).

(4) انظر: الزبيدي، تاج العروس (مج 335/33، 350)، الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة (مج 262/6).

(5) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص235)، المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص601ـــ602)، وانظر: ابن تيمية، النبوات (مج 603،206/1)، ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية:المجموعة الأولى (ص69)،(ص95).

(6) انظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات (مج 99/1)، الجرجاني، التعريفات (ص31).

1- ما ثبت عن أنس بن مالك ﷺ:" أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تفرق النور معهما".[2]

2- قصة أبي بكر الصديق مع أضيافه الثلاثة حين ذهب بهم إلى بيته، فكانوا لا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا جميعاً، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر، فقال لامرأته: ما هذا؟! قالت: لا، وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار، قال فأكل منها أبو بكر، ثم حملها إلى رسول الله ﷺ فأصبحت عنده، قال: وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل، فعرفنا اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون.[3]

المطلب الثالث: شروط الكرامات.

يمكن تقسيم الشروط المتعلقة بالكرامة إلى قسمين:

1. **شروط متعلقة بنفس الكرامة.**فيشترط في نفس الكرامات شروط منها:

أ) أن تكون من الأمور المحمودة أو المباحة شرعاً، ولا تكون من الأمور المحرَّمة.فلا يُكْرِم الله أحداً بما حرَّم عليه.

ب) أن تكون أدنى من معجزات الأنبياء.[4] ج) ألا تكون مصاحبة للنبوة،ولا سابقة لها. د) لا يشترط أن يطلبها الولي.

2. **شروط متعلقة بصاحب الكرامة.**فيشترط في صاحب الكرامة شروط منها:

أ- أن يكون صاحبها مؤمناً تقيّاً؛ لقوله تعالى:{أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون}[يونس: ٦٢ – 63].

تنبيه: قد يؤيد بعض أهل البدع بكرامات إذا كانوا في جهاد للمشركين إما جهاد لسان أو جهاد سنان،[5] وهذا لا يتنافي مع الشرط السابق من حيث إنه المراد بالكرامة في هذا الحال نصرة الله لدينه، وإظهاره على غيره، فقد ينصر الله دينه على يد الرجل الفاجر، كما جاء في الحديث:" وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".[6]

ب- ألاَّ يدَّعي صاحبها الولاية.

ج- لا يشترط علم الولي بأنها كرامة.

المطلب الرابع: موقف الطوائف من الكرامات.

انقسم الناس في هذا الباب إلى أقسام ثلاثة، غالٍ وجافٍ ومتوسطٍ:

---

(1) ابن تيمية، مختصر الفتاوى المصرية (ص600).

(2) صحيح البخاري: ك/الصلاة، باب، برقم (465).

(3) البخاري، صحيح البخاري: ك/مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، برقم (602)، مسلم، صحيح مسلم ك/الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (5486) .

(4) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 142/1، 526)(مج 1030/2).

(5) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 157/1).

(6) متفق عليه، البخاري: صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر (72/4) رقم (3062)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم الإنسان قتل نفسه (70) رقم (111).

أولاً: من غلى في شأن الكرامة وأفرط وتجاوز فيها الحدَّ، وهم المتصوفة.(1)

أما المتصوفة فغلوهم في إثباتها: بأن ادَّعوا باسم الكرامة للأولياء ما هو من خصائص الله وحده.

ثانياً: من جفى في شأنها وفرَّط، فقال بإنكار الكرامة، ونفى وقوعها، وهم الفلاسفة، والجهمية والمعتزلة ومن تأثَّر بهم.(2)

أما الفلاسفة فغلَوا في حدِّ الخارق وتعريفه الذي خرج بهم إلى نفي حقيقته، عن الأنبياء أو الأولياء على حدٍّ سواء كما سبق بيانه، فإنهم جوَّزوا أن يكون كل ما خرق للأنبياء أن يخرق للأولياء، حتى المعراج لنبينا ﷺ، وفرق البحر لموسى ﷺ.(3)

وأما الجهمية والمعتزلة فزعموا أن الخوارق لو جاز ظهورها من الأولياء لالتبس النبي بغيره، إذ فرق ما بينهما – عندهم – إنما هو المعجزة، وبنوا على ذلك أنه لا يجوز ظهور خارق إلا لنبي.

ثالثاً: أهل وسط واعتدال، وهم أهل السنة والجماعة؛ حيث ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، فأثبتوا الكرامات للأولياء على ضوء النصوص الشرعية الثابتة، وقولهم هو القول الحق.

تنبيهات على بعض الأمور المتعلقة بالكرامات.

من حكمة المولى ﷻ إكرامه لبعض صالحي عباده بهذه الكرامات، التي هي من معجزات أنبيائهم، ومؤكدات لصدق نبوتهم.(4)
ولاشك أن وقوع هذه الكرامات يحمل عدداً من المعاني والدلالات العظيمة، بعضها يتعلق بعين الكرامة، وبعضها يتعلَّق بصاحبها، وبعضها دلالات ادَّعاها بعض من لم يوفَّق لإصابة الحق في هذا الباب، والصواب على خلافه.وفيما يلي ذكر بعض هذه التنبيهات:

1. " ليست الكرامة عند أهل التحقيق كرامة مطلقاً، بل في الحقيقة الكرامة هي لزوم الاستقامة، وهى طاعة الله، وإنما هي مما يبتلي الله به عبده، فإن أطاعه بها رفعه، وإن عصاه بها خفضه، وإن كانت من آثار طاعة أخري كما قال تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} [الجن: ١٦ – ١٧]... فإذا عصي الله فيها كانت سبباً لعذابه،... وإذا أطاع الله فيها كانت سبباً لسعادته".(5)
2. أنها دالة على صدق الرسول الذي اتبعوه، ودلالتها على ذلك بالغة.(6)
3. إنما حصلت الكرامات للأولياء ببركة اتباعهم للأنبياء عليهم السلام، وهي من عاجل بشراهم، كما قال تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ } [يونس:64].(7)
4. عدم وقوع الكرامة من جهة العلم أو القدرة لا يدل على نقص الدين،ولا يضره ذلك،بل ربما كان ذلك أنفع له في دينه. (1)

(1) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 1033/2).
(2) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1031/2).
(3) انظر: ابن عربي، فصوص الحكم (مج 63/1)، ابن تيمية، الصفدية (مج 229/1)، النبوات (مج 137/1).
(4) ابن تيمية، النبوات (مج 541,518/1).
(5) ابن تيمية، قاعدة في المحبة (ص166ــ169).
(6) ابن تيمية، النبوات (مج 603,143/1)(مج 820/2).
(7) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 141/1).

5. لا تدل الكرامة على عصمة الولي، ولا وجوب طاعته في كل شيء، ولا يدل مجرد الخارق على أن صاحبه يموت على الإيمان.[2]

6. لا يستدل بمجرد حصول الخارق على صلاح صاحبه ولا ولايته، فقد يكون ذلك استدراجاً، أو حالاً شيطانياً كما يحصل شيء من ذلك للكفرة أو غيرهم من الفسقة الفجرة، وإنّما المعيار في الاستدلال على الصلاح متابعة الرجل للنبيّ؛ فيُميّز بين أولياء الله وأعدائه بالفروق التي بيّنها الشرع.[3]

وقد جاء ما يبين وجه ذلك في قوله ﷺ:" إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك استدراج، ثم قرأ: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون} [الأنعام:44].[4]

ويكون ذلك الاستدراج من تمام الإملاء الذي يعقبه الأخذ الأليم منه سبحانه، كما قال ﷺ:" إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ:{ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد} [هود:102][5]

7. كرامات الأولياء متفاضلة، وعدم تساويها ليس لأجل تفاضل الإيمان فحسب، فقد تكون بحسب حاجة الرجل، فقد يعطى الأكمل في الولاية من الكرامة ما هو أقل مما يعطى الأقل منه إيماناً، وقد يعطى من عليه بعض المعصية أو من عصى شيء من الكرامة ولا يعطاها المؤمن التقي المسدد؛ لأجل حاجة ذاك إلى ما يقوي إيمانه، ولطف الله جل وعلا به، وعدم حاجة ذاك.[6]

فلذلك ينبغي على السالك أن لا يتطلع إلى الكرامة، ويتلفّت إليها، ويجعلها همَّه ومقصوده بالعبادة؛ ولا يظن عدم حصولها لشيء في صحة أعماله، فعدمها علماً وقدرة لا ينقصه من مرتبته عند الله شيئاً، بل قد يكون ذلك أنفع له في دينه، إذا لم يكن وجودها في حقه مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب، فلحكمة من الباري ﷻ فتح على بعض الصادقين من ذلك رَتَجاً[7]؛ ليقوَى عزمُهم، ويزدادوا بما يظهر لهم من ذلك قرباً من المولى ﷻ، وأوصد عن غيرهم أبواباً؛ لعلو درجتهم، ولاستغنائهم عنها، لكمال علمهم ودينهم، ومن هذا الباب وجود الكرامات ونحوها في عصور التابعين ومن بعدهم أكثر مما كان على عهد الصحابة ﷺ.[8]

8. الكرامة ليست بحجة في أحكام الشريعة المطهَّرة، وخاصة فيما يخالف ظاهر الكتاب والسنة.

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 323/11).
(2) ابن تيمية، النبوات (مج 143/1)، ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 83/2ـــ84).
(3) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 153/1).
(4) أحمد، مسند أحمد (547/28) رقم (17311)، حسنه محققو المسند.
(5) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري: ك/ التفسير،{ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد} (74/6) رقم (4686)، مسلم، صحيح مسلم: ك/ البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم (1040) رقم (2583).
(6) ابن تيمية، منهاج السنة (مج 204/8ـــ205).
(7) الرَّتَجُ: هو الباب العظيم.انظر: الزبيدي، تاج العروس (مج 589/5).
(8) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 283/11، 335,323,320، 370).

المبحث الرابع: التعريف بالولاية.وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الولاية في اللغة.

الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قُرْبٍ، ويطلق الولي في اللغة ضد العدو.وفي اللسان:" الولي هو الناصر".(1)

المطلب الثاني: الولاية في الاصطلاح.

" الولاية: هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل".(2)

" وولاية الله: موافقته بأن تحب ما يحب، وتبغض ما يبغض، وتكره ما يكره، وتسخط ما يسخط، وتوالي من يوالي، وتعادي من يعادي".(3)

" وقد قيل: إن الولي سُمِّي وليّاً من موالاته للطاعات أي متابعته لها، ويقابل الولي: العدو على أساس من القرب والبعد".(4)

يتضح من مجمل هذه التعريفات للولاية والولي ما بيَّنته من المقصود بهما في الاصطلاح، بأنها قائمة على تبادل معنى القرب بين الولي ومولاه، فالولي من تحقق فيه القرب من خالقه من جهة موافقة القلب للمحبوبات فرضاً ونفلاً وإتيانها، ونبذ المبغوضات حرمة وكراهة والبعد عنها، والمولى من تكفل بالقرب ممن تولاه ـــــ بما سبق ذكره ـــــ فكان منه القرب اللائق به، حقيقة ومعنى، على الوجه المنقول عن سلف الأمة في معنى قرب الله تعالى من عباده.

وأثر ذلك القرب والولاية في المعنى الاصطلاحي في العلاقة بين الولي وغيره من الناس بحسب الموافقة والمخالفة للمأمورات والمنهيات.

كما دلت التعاريف على أن الولي من جهة المعنى الاصطلاحي يدخل فيه النبي، باعتبار العموم من جهة الأصل في الاطلاق لمعنى الولاية دونما أي تقييد، فإن الأنبياء أولياء، بمعنى أنهم مؤمنون أتقياء، لكنَّ المقصود بالولي في مبحث كرامات الأولياء هم المؤمنون الأتقياء الذين ليسوا بأنبياء، لذا قد يصح هنا أن يقال المعني بالوليّ في باب الكرامات: هو كل مؤمن تقي، ليس بنبي.

إثبات الولاية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" الذي دل عليه الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وخلفها الصالحون المتبعون للسلف، **أن لله تعالى أولياء، كما له أعداء**، وأولياء الله هم المنعوتون في قوله تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}{الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون}[يونس: ٦٢ – 63]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مج 141/6)، ابن منظور، لسان العرب (ج 405/15).
(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 440/10).
(3) ابن تيمية، الاستقامة (مج 128/2).
(4) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص6).

بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".(1)

وقسَّم ــ رحمه الله ــ أولياء الله إلى قسمين:

1. مقرَّبون سابقون بالخيرات.وهم الذين تقربوا إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.
2. مقتصدون أبرار.وهم المؤدون للفرائض المجتنبون للمحارم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" أولياء الله المتقون هم العالمون العاملون بما بعث الله به محمداً ﷺ".(2)

وأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه فيؤيدهم بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين.وخيار أولياء الله كراماتهم لحُجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك.(3)

وليس للأولياء من أمر الله شيء، ولا تصرف لهم في شؤون الكون بشيء، بل الأمر كله لله وحده، وهم مأمورون بكل ما يؤمر به غيرهم من أحكام الشرع الحنيف، ولا يسقط عنهم شيء من التكاليف، وهم شهداء الله في أرضه، بما وهبهم الله من نور البصيرة،وليس لأولياء الله الصالحين عدد معين،بل يكثرون تارة ويقلون تارة.(4)

ووَلاية المؤمن لله جل وعلا ووَلاية الله جل وعلا لعبده المؤمن متبعِّضة، ليست على مرتبة واحدة؛ فكل مؤمن له نصيب من التقوى له نصيب من الوَلاية، فالإيمان والتقوى متبعِّضة فكذلك الوَلاية متبعضة.

وكذلك وَلاية الشيطان للعبد والعبد للشيطان متبعضة فكل عاص له نصيبه من وَلاية الشيطان.

وأما من ظهر على يديه بعض الخوارق من الكهان والسحرة أو الفسقة أو المبتدعة والمشركين فإنما هم أولياء للشيطان، أعداء للرحمن، استدرجهم إبليس بتلبيسه، فأعانهم على أشياء غريبة، من أمور علمية وأمور قُدَرية، وأشباه ذلك، كحصول أنواع المعلومات والمعارف، وأحياناً يكون بإبراء أسقام بالقراءة أو اللمس أو الكتاب، فلا يدل ذلك على ولايتهم فهم أعداء الله ورسله، أهل سخطه وعذابه ونقمته.

" وعامة من تجد له حالاً من **مكاشفة، أو تأثير،** أعان به الكفار أو الفجار أو استعمله في غير ذلك من معصية فإنما ذاك نتيجة عبادات غير شرعية كمن اكتسب أموالا محرمة **فلا يكاد ينفقها إلا في معصية الله،** والبدع نوعان: نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات وهذا الثاني يتضمن الأول كما أن الأول يدعو إلى الثاني، فالمنتسبون إلى العلم والنظر وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الأول، والمنتسبون إلى العبادة والنظر والإرادة وما

---

(1) البخاري، صحيح البخاري: ك/الجمعة، باب رقم (6502).
(2) ابن تيمية، جامع المسائل، المجموعة الأولى (ص70).
(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 274/11).
(4) انظر: ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية المجموعة الأولى (ص71)، (ص86).

يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الثاني، وقد أمرنا الله أن نقول في كل صلاة:{ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}.(1)

المبحث الخامس: الفروق بين المعجزات وكرامات الأولياء.وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفروق بين المعجزات وكرامات الأولياء.

جعل الله ما يؤيد به أوليائه من الأنبياء وأتباعهم دليلاً على صدقهم، وصدق ما هم عليه من الإيمان والهدى، ويلمح في ثناياهما اتفاقهما في مضامين عدة، منها:

1. أنهما من جنس واحد، وكرامات الأولياء مختصة بنوع دون معجزات الأنبياء.(2)
2. قد يشترك الأنبياء والأولياء في بعض الخوارق، كما قد يُشاركونهم في بعض أعمالهم.

مثل إحياء الموتى للأنبياء، وبعض الصالحين.(3)

3. لا يتوقف إثبات النبوة على المعجزة، كما لا يتوقف إثبات الولاية على الكرامة.(4)

وبالرغم مما ذكر من التوافق بين المعجزات والكرامات من حيث الدلالات، إلا أن كلاً منهما مختص عن الآخر بخصائص، وبينهما من الفروق ما يتميز به عن الآخر، ومن الفروق العظيمة الظاهرة عظم آيات الأنبياء فإنّ" آيات الأنبياء ‡ التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم، وأتباعهم".(5) وفيما يلي ذكر أبرز هذه الفروق المميزة بينهما:

1. لا تقترن الكرامة بدعوى ولا تحدٍّ، بخلاف المعجزات فإنها قد تقترن بذلك.(6)

ليس كل ما كان آية من آيات الأنبياء يكون كرامة للصالحين.(7)

2. الكرامة في أصل مسبب حصولها تكون بالاختيار، فتحصل باختيار الولي إما بسعيه في أسبابها، أو لكونه يفعل ما يوجبها، أو يدعو الله فيجيبه، بخلاف آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك.(8)

3. الكرامة ليست الاختيار فيها متمحضاً للولي، بأن يوجدها حيثما أراد، وأنه يجريها متى ما شاء،فقد تتخلف عن وقت القصد والإرادة لها، بخلاف معجزات الأنبياء فإنها تحصل متى شاؤوا،فإن موسى عليه السلام ألقى العصا حال إرادته خصم السحرة وإبطال مكرهم. (9)

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (مج 137/2)، وانظر: الصفدية (مج 190/1-193).
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 157/1، 188).
(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 143/1)،(مج 776/2)(مج 807/2)،(مج 821/2).
(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1084/2).
(5) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 526/1).
(6) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 162/1).
(7) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 526/1).
(8) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1085/2).
(9) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1084/2).

4. إن الكرامة لا تدل على رفعة من حصلت له مطلقاً؛ لأن بعضها قد يكون لحاجته، لذا فأكثر الصحابة لم تحصل لهم كرامات، وهي في التابعين ومن بعدهم أكثر، بخلاف المعجزة فهي دالة على رفعة من وقعت له من أنبياء الله، فلهذا يوجد بعض الكرامات لكثير من المفضولين أكثر مما يوجد للفاضلين منهم؛ لحاجتهم إلى ذلك. [1]

5. لا تبلغ كراماتُ الأولياء معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب درجاتهم.[2]

فإن الأنبياء أعظم قدراً ومنزلة ومكانة من أتباعهم، ولم تكن لتحصل للأتباع كرامات إن لم يكونوا متابعين لأنبيائهم، لذلك كان مقام ما يحصل للأتباع أقصر عن مراتب ما يحصل لمتبوعيهم.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: إبلاغ الصوت إسماعاً من المتكلم صاحب الخارق، أو سماعاً له من غيره، فالأمران متعاكسان وقد حصل بهما خرق العادة، أما الأول وهو الإسماع: فقد وقع لعمر ﷺ حين حصل إبلاغ صوته من المدينة لسارية ﷺ في بلاد فارس، بالرغم من بعد المسافة، وذلك بما يسره الله له من بعض الملائكة أو صالحي الجن فهتفوا بمثل صوته، والثاني: سماع صاحب الخارق لكلام غيره: فهو ما يكون لنبينا ﷺ في وصول الصلاة والسلام عليه من أي مصلٍّ أينما كان في هذه الأرض.[3]

فالأول: وإن كان كرامة لا توازيها كرامة، لكنها لا تقابل ولا تكون قريبة مما له ﷺ من هذه المعجزة العظيمة.

6. الكرامات معتادة في الصالحين مِنّا، ومِنْ قبلنا، ليست خارقة لعادة الصالحين، وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين.[4]

7. كرامات الأولياء في أصل سبب حصولها تُنال بالصلاح والاستقامة على شرع الله كالعبادة ونحوها، ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك، ولو طلبها النّاس؛ حتى يأذن الله فيها قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً }[الأنعام: ٣٧]،{وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُون} [الأنعام:109] {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [العنكبوت:50]. [5]

المطلب الثاني: الفروق بين المعجزات وكرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والكهان.

يمتنع في حكمة الله وعدله إظهار المعجزات الدالة على صدق الأنبياء على يد الكاذب، إذ لو فعله بطلت دلالة المعجز على الصدق، وهو سبحانه منزه ذلك.[6]

وتعدُّ معرفة الفروق الحاصلة بين المعجزات والكرامات وبين سائر الخوارق من المسائل الجليلة التي يجب العناية بها أتم اعتناء؛ وذلك لعظيم ما حصل فيها من اللبس والخلط، وضلال فئام كبيرة من الناس في هذا الباب.

---

(1) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (مج 204/8).
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 142/1، 526)(مج 866/2)(مج 1030/2).
(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1061/1).
(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 559/1).
(5) ابن تيمية، النبوات (مج 560/1).
(6) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 551/1).

فبمعرفة هذه الفروق يستبين الفرقان ويتضح، ويزهق الباطل ويفتضح، فشتان بين نور الآيات والبراهين الإلهية، والكرامات الرحمانية، وبين ظلمات أفعال السحرة والكهان أرباب الأحوال الشيطانية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ:" فينبغي أن يُتدبّر هذا الموضع، وتُعرف الفروق الكثيرة بين آيات الأنبياء، وبين ما يشتبه بها؛ كما يُعرف الفرق بين النبي، وبين المتنبي؛ وبين ما يجيء به النبي، وما يجيء به المتنبي".[1] ويقول أيضاً:" وبينهما من الفروق ما لا يُحصيه إلا الله، فكيف يشتبه هذا بهذا.بل لهذا من دلائل صدقه، ولهذا من دلائل كذبه ما لا يمكن إحصاؤه" [2].

ومن أوسع ما سطَّره أهل العلم في بيان هذه الفروق، ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في مصنفاته النفيسة، كالفرقان بين الحق والباطل، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقد اقتصرت في بيان الفروق هنا على الكتاب المعتمد في هذا البحث وهو كتاب النبوات، وقد أفدْتُ من تصنيفه لهذه الفروق، وحسن تقسيمه لها،[3] وهي على النحو التالي:[4]

1. الأول وهو المشهور المستفيض: إجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على فاسق أو كافر، وآيات الأنبياء وبراهينهم لا توجد إلا مع النبوة، ولا توجد مع ما يناقضها.[5]

فالمسيح الدجال يجري الله على يديه آيات عظيمة ويدَّعي الألوهية كما جاءت الأخبار بذلك، فإنه وإن كانت هذه الدعوى ممتنعة في نفسها، إلا أنه يكون معها من الآيات ما يظهر الله بها كذبه: كالكتابة التي بين عينيه (كافر)، وأنه أعور والله ليس بأعور، إلى غير ذلك.

وأما الأنبياء فقد آتاهم الله من البينات ما أقاموا به الحجة على أقوامهم، ولم يقدروا على أن يأتوا بنظير لها، فضلا عن أن يعارضوها بما يناقضها أو يبطلها.

فإنشقاق القمر في حياته ﷺ وقع بين ظهراني المشركين،[6] وأنزل الله ﷻ فيه قرآناً كان النبي ﷺ يقرأه في المجامع كالأعياد وغيرها،[7] فدل ذلك على تحقق وقوع تلك الآية عندهم، وعدم القدرة على التكذيب بها، بَلْهَ مقابلتها بنظير، أو معارضتها بمبطل.[8]

---

(1) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 152/1).

(2) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 523/1)، الجواب الصحيح (مج 297/6).

(3) ومجملها فروق ترجع إلى صاحب الخارق(صفاته، أخباره، أفعاله، أوامره)، وفروق ترجع إلى نفس الخارق.انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 152/1).

(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 152/1، 496).

(5) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 491,144/1، 606).

(6) قال تعالى:" اقتربت الساعة وانشق القمر"، وقصة انشقاق القمر وردت في الصحيحين، انظر: البخاري، صحيح البخاري: ك/ المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (206/4) رقم (3636)،مسلم،صحيح مسلم:ك/صفة القيامة والجنة والنار،باب:انشقاق القمر (1126) رقم (2800).

(7) انظر: مسلم، صحيح مسلم: ك/ صلاة العيدين، باب: ما يقرأ به في صلاة العيدين (343) رقم (891).

(8) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح (مج 418/1).

2. السحرة يذم بعضهم بعضاً، ويخالف بعضهم بعضاً، ويعادي بعضهم بعضاً، والأنبياء يصدّق بعضهم بعضاً، فمعجزة كل نبي آية له ولجميع الأنبياء؛ لأن الآيات دليل على إثبات جنس الأنبياء، ولا يتصور أن نبيًّاً يبطل معجزة آخر.[1]

3. النبيُّ يأمر بجنس ما يأمر به أمثاله النبيُّون، وأما الساحر والكاهن فيأمر بجنس ما يأمر به أضرابه السحرة والكهان، فكل منهم يعتبر بنظرائه، فالنبيّ له نظراء يُعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن له نظراء يعتبر بهم، ولاشك أن الأمر بما يأمر به الأنبياء والاعتبار بهم يفارق ما عند ذلك من السحرة والكهان.[2]

4. الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلّمه، وسعيه، واكتسابه، وهذا مجرّبٌ عند الناس، بخلاف النبوة؛ فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه.[3]

5. النبوّة لو قُدّر أنها تُنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة، والصدق، والعدل، والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلاً عن أن تحصل مع الكذب على الله، فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزمٌ للصدق على الله فيما يُخبر به.[4]

6. ما يأتي به السحرة، والكهان مبناه على الشرك والكذب، ومقصود صاحبه الظلم والفساد والفواحش، فيُحبّون الشرك وأهله، ويوالونهم، ويبغضون أهل التوحيد والعدل، أما الأنبياء فيأمرون بعبادة الله وحده، والعدل والصدق والإصلاح، ويتبرّؤون من الشرك وأهله، وكرامات الصالحين مقصودها " عبادة الله، وتصديق رسله، فهي آيات، ودلائل، وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد".[5]

7. الأنبياء يأمرون بعبادة الله وحده، والصدق، والعدل، ويتبرّؤون من الشرك وأهله، والسحرة يأمرون بالشرك ويُحبّون أهله، ويوالونهم، ويبغضون أهل التوحيد والعدل، ويقترفون الكبائر والمحرمات.[6]

8. النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد؛ فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فيأمر بالتوحيد، والإخلاص، والصدق؛ وينهى عن الشرك، والكذب، والظلم.فالعقول، والفطر توافقه؛ كما توافقه الأنبياء قبله؛ فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول الخارج عمّا جاء به، وأما السحرة ونحوهم فيفسدون الإدراك والسمع والبصر والعقل.[7]

9. آيات الأنبياء مختصة بجنس الأنبياء، لا بواحد منهم، ولا يشركهم فيها غيرهم.[8] وهذا يعني:

أ) أنّه لا يشاركهم فيها من يكذّب بنبوتهم، ولا من يدّعي نبوّة كاذبة.

---

(1) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 66,518/1)(مج 193/1، 518ـــ519، 664)(مج 1088/2).
(2) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 560/1)(مج 1086/2).
(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 558/1)، (مج 1073/2)(مج 1084/2).
(4) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 559/1)(مج 1076/2).
(5) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 192/1ـــ193، 521، 524 ،665)(مج 1002/2، 1074، 1082).
(6) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 193/1، 665,524).
(7) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 560/1)(مج 1052,1049/2، 1090).
(8) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 151/1، 187)، (مج 864/2).

ب) أنها لا توجد إلا مع النبيّ.[1]؛لأن " دليل كل مدلول عليه يمتنع ثبوته مع عدم المدلول عليه؛فإنه مستلزم لثبوته.فلو وجد مع عدمه، للزم الجمع بين النقيضين".[2]

10. المعجزة دالة على صدق النبي، مستلزمة لذلك، وخوارق السحرة والكهان لا تستلزم صدقهم.[3]

11. كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، ولكن الأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}[الأعراف:33] [4]

12. الأحوال الشيطانية لا تحصل عند أفعال الخير كالصلاة والذكر والدعاء، بل تحصل إذا أشركوا بالله وكلما اجتمعت المحرمات قويت أحوالهم.[5]

13. الأحوال الشيطانية تبطل أو تضعف عند ذكر الله، وتوحيده، وقراءة قوارع القرآن لاسيما آية الكرسي، فإنها تبطل عامة هذه الخوارق الشيطانية، وإنما تظهر عند الكفار والفجار، وأما آيات الأنبياء والأولياء، فتقوى بذكر الله، وتوحيده.[6]

14. الأحوال الشيطانية تظهر وتقوى في المواضع التي يخفى فيها أثر التوحيد، أو تكون مواضعاً للشياطين كالمزبلة والحمام ونحو ذلك، وأما أماكن أهل الإيمان والقرآن كالمساجد فلا تتسلط عليها الشياطين.[7]

15. السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تفتقر إلى شيء من ذلك، وفي كثير من الأوقات تقع الكرامة اتفاقاً من غير أن يستدعيها أو يشعر بها، فأمر الآيات وتوابعها إلى الله يأتي بها سبحانه متى شاء. [8]

16. أخبار الأنبياء ليست كأخبار السحرة والكهان من أوجه:

أ) **من جهة الواسطة في خبر الغيب.**

فالنبي ينَبِّئه بالأخبار الغيبية من عند الله ملكٌ كريمٌ، والساحر والكاهن يلقي عليه ذلك من الجن والشياطين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكذلك في الشعراء: ذكر الكاهن والشاعر بعد قوله:{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين} [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] إلى قوله: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين}{تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم}{يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون} الشعراء:[221– ٢٢٣]

(1) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 983/2).
(2) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 980/2).
(3) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 512,213,143/1).
(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج 84/1)، (287/11)، ابن تيمية، النبوات (مج 1002/2).
(5) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 1023/2، 1030).
(6) انظر: ابن تيمية، مجموعة الرسائل لابن تيمية: المجموعة الأولى (ص80 ،92)، مجموع الفتاوى (مج 287/11).
(7) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 1018/2ـــ1019، 1026ـــ1027).
(8) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 1086/2).

وقال أيضاً: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} [التكوير: ١٩ – 27] فلما أخبر به أنه قول رسول؛ هو ملك من الملائكة، نفى أن يكون قول شيطان".[1]

ب) **من جهة نفس الخبر**.وهو من وجهين:

الوجه الأول: دخول الكذب في الأخبار وعدمه.

فأخبار الأنبياء بالأمور الغائبة الماضية أو المستقبلة لا يدخلها الكذب لا عمداً ولا خطأً؛ لأن الملائكة لا تكذب على الله، بخلاف أخبار السحرة والكهان فكذبها أكثر من صدقها.[2]

الوجه الثاني: القدرة على جنس الأخبار.

فالملائكة تخبر الأنبياء من أخبار الغيب ما لا يمكن للشياطين أن تخبر به؛ لقوله تعالى:{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}[الجن: ٢٦].[3]

17. ما تأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله أوأقوى منه، أما معجزات الأنبياء وكرامات الصالحين فلا تعارض لا بمثلها، ولا بأقوى منها،وهذا أعظم دليل على اختصاصها بهم.[4]

18. السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم، ولمن اتّبعهم.[5]

19. ما يأتي به الكهّان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدوراً للجنّ والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل. وآيات الرسل لا يقدر عليها لا جنّ، ولا إنس، ولا الملائكة، ولا غيرهم؛ بل هي خارقة لعادة كلّ من أُرسل النبيّ إليه، كإنزال القرآن، وتكليم موسى:{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨8] [6]

20. من آيات الأنبياء وكرامات أتباعهم ما يكون بأفعال الملائكة "والأنبياء أحق الناس بمعاونة الملائكة لهم، وتأييد الله تعالى لهم"[7]،وكذا أتباعهم، وأما السحرة والكهان فإنما يستعينون في أحوالهم وخوارقهم بالشياطين.[8]

21. أنَّه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة؛ فإنّ الملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر إنَّ الله أرسلك، ولم يرسلْه، وإنما يفعل ذلك الشياطين.[9]

---

(1) ابن تيمية، المصدر السابق (مج 1047/2) باختصار.

(2) انظر:ابن تيمية، المصدر السابق (مج 146/1ــ147، 559)،(مج 704/2، 835، 997، 1074، 1078).

(3) انظر:ابن تيمية، المصدر السابق (مج 148/1).

(4) انظر: ابن تيمية،المصدر السابق(مج 169/1، 195، 500 ،559)(مج1081/2ــ 1082)، الجواب الصحيح (مج 86/1).

(5) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 558/1)(مج 1082/2).

(6) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 500,195,144/1، 559,502)(مج 1075/2).

(7) ابن تيمية، الصفدية (مج 207/1).

(8) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 151/1، 193)(مج 864/2، 1061، 1084).

(9) انظر: ابن تيمية، المصدر السابق (مج 560/1).

22. أن الآية والكرامة يزداد بها صاحبها قرباً من الله ﷺ، وأما الأحوال الشيطانية فتُبعد صاحبها عن الله تعالى ورضوانه.(1)

الخاتمة

وبعدُ، فأحمد الله على تمام هذا البحث وتيسيره، وألخص في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها:

1. أهمية العناية بنصوص الوحيين، وضرورة التعبير عن حقائق الأمور الشرعية بالألفاظ الشرعية.(2)
2. صحة منهج أهل السنة والجماعة ووسطيته وسلامته من الضلال والانحراف الذي تخبطت فيه كثير من فرق الضلال في أبواب النبوات، وما يتبعها من دلائل النبوة، والكرامات.
3. أهمية العناية بأصل منشأ الضلال لدى المخالفين، وأهمية إدراك الفروق في المسائل العقدية.
4. اضطراب أهل الكلام في معنى خرق العادة أودى بهم إلى مسالك ضلوا بها في النبوات.
5. تقسيم الخوارق بعدة اعتبارات منها: تقسيمها باعتبار من تضاف إليه، وباعتبار تعلقها بالعلم والقدرة والتأثير، وباعتبار المقصود من حصولها، وباعتبار إعانتها للعبد،وذمها ومدحها.
6. معجزات الأنبياء خاصة بهم، ولها من الشروط ما يمنع اشتراك غير الأنبياء معهم فيها.
7. تقسيم معجزات الأنبياء باعتبار زمان وقوعها، وباعتبار تأثيرها في الوجود والعدم (هيئة وقوعها)، وباعتبار العموم والخصوص، وباعتبار مقصودها، وباعتبار بقائها وزوالها.
8. إثبات الكرامة من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل الضلال فيها.
9. كرامة الله لعبده لها ما يميِّزُها عن غيرها من أحوال أهل الضلال والغواية من السحرة والكهان وغيرهم.
10. حصول الكرامة لا يعني رِفعة من حصلت له على من لم تحصل له، بل قد يكون من لم تحصل له كرامة أرفع ممن حصلت له.
11. إثبات النصوص بأن لله أولياء، وللشيطان أولياء، والتفريق بينهما.
12. وَلاية المؤمن لله سبحانه ووَلاية الله سبحانه لعبده المؤمن متبعِّضة، وكذلك وَلاية الشيطان للعبد، والعبد للشيطان متبعضة.
13. أنّ أهل الشرك والبدع ليسوا أهلاً لكرامة الله جل وعلا؛ بل هم أهل لإهانة المولى جل جلاله، ولكن يحصل لهم خوارق من فعل الشياطين.
14. عظم الفروق بين أولياء الله ﷺ وبين أولياء الشيطان، من جهة الصفات، والأحوال وغير ذلك.

وفي ختام هذه النتائج هناك بعض التوصيات التي يحسن إيرادها في النقاط التالية:

1. موضوع الاصطلاحات العلمية في أبواب الاعتقاد وتصنيفها يُعَدُّ مشروعاً علمياً ضخماً ترنو إليه الهمم العالية، وإن كان قد بدء العمل فيه في بعض الجهات العلمية، ولكن ذلك لا يمنع من توليه من أكثر من جهة في العالم الإسلامي.
2. أن المواضيع المتعلقة بالفروق في أبواب الاعتقاد تحتاج إلى تكريس جهود ومزيد عناية واهتمام من قبل المختصين، متمثلين في مؤسسات تعليمية أكاديمية، أو مراكز علمية بحثية أو جهود فردية خاصة.
3. هناك مواضيع عديدة وثيقة الصلة بمسائل المعجزات، كمسائل دلائل النبوة، تحتاج إلى مزيد بحث وبسط من جهة أوجه الاتفاق والاختلاف، ومضامين كل نوع منها.

(1) انظر: ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية: المجموعة الأولى (ص69).
(2) انظر: ابن تيمية، النبوات (مج 876/2).

فهرس المراجع

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1411 هـ).*الاستقامة*. تحقيق: محمد سالم.ط2.الرياض.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1417 هـ)*تلخيص كتاب الاستغاثة*. تحقيق: عجال.ط1.المدينة المنورة. مكتبة الغرباء الأثرية.
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1417 ه)ـ.*الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: المدني. د.ت. مصر. مطبعة المدني.
4. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1406 ه)ـ.*الصفدية*. تحقيق د. محمد سالم. ط2.مصر.مكتبة ابن تيمية.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1411 هـ). *العقيدة الأصفهانية*. تحقيق: سعيداي. ط1.الرياض.مكتبة الرشد.
6. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1420 ه)ـ. *النبوات*. تحقيق: د. الطويان. ط1.دار أضواء السلف.
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1427 هـ).*جامع المسائل*. المجموعة الأولى. ط2.مكة.دار عالم الفوائد.
8. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1435 هـ).*الرسالة الكيلانية*. تحقيق: عبد العزيز القرني. رسالة ماجستير(مطبوعة على الحاسب الآلي).مكة. جامعة أم القرى.
9. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *الصفدية*. تحقيق: محمد سالم. مصر. د.ت. دار الهدي النبوي.
10. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *قاعدة في المحبة*. تحقيق: د. محمد رشاد سالم .د. ت. القاهرة. مكتبة التراث الإسلامي.
11. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1425 هـ).*مجموع فتاوى ابن تيمية*. جمع: ابن قاسم، وابنه محمد. السعودية. مجمع الملك فهد.
12. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *مختصر الفتاوى المصرية*. البعلي. تحقيق محمد حامد الفقي. نشر دار ابن القيم.
13. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(1406 ه).*منهاج السنة النبوية*. تحقيق: د. رشاد سالم. ط1.بيروت.مؤسسة قرطبة.
14. ابن حجر، العسقلاني، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تصحيح: محب الدين الخطيب، د.ت. بيروت. دار المعرفة.
15. ابن سينا.(1418 هـ).*الإلهيات من كتاب الشفاء*. تحقيق: الأملي، ط1.إيران.باقري.
16. ابن عربي، محي الدين، *فصوص الحكم*، تعليق: د. عفيفي .د.ت، بيروت. دار الكتاب العربي.
17. ابن فارس، أبو الحسين.(1399 هـ).*معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت. دار الفكر.
18. ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. د.ت. الطبعة الأولى، بيروت. دار صادر.
19. البخاري، محمد بن إسماعيل.(1422 ه).*صحيح البخاري*. تحقيق: محمد الناصر.ط1.دار طوق النجاة.
20. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر.(1423 هـ).*أصول الدين*. تحقيق: أحمد شمس الدين. ط1.بيروت.
21. الجرجاني، علي بن محمد.(1405 ه).*التعريفات*. ط1.بيروت.دار الكتاب العربي.

22. الجويني، إمام الحرمين.(1430 ه)ــ *الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد*. تحقيق: د. أحمد السايح، توفيق وهبة. ط1.مصر.مكتبة الثقافة الدينية.

23. الزبيدي، أبو الفيض، محمّد الحسيني. *تاج العروس*. د.ت. تحقيق مجموعة من المحققين. الناشر دار الهداية.

24. الصاحب بن عباد.(1414 ه)ــ *المحيط في اللغة*. ط1.بيروت.عالم الكتب.

25. سعاد الحكيم.(1401 ه). *المعجم الصوفي*. ط1.بيروت. دندرة للطباعة والنشر.

26. القاضي، عبد الجبار بن أحمد.(1416 هــ)*شرح الأصول الخمسة*، تعليق: ابن أبي هاشم، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، ط3، القاهرة. مكتبة وهبة.

27. الكاشاني، عبد الزراق.(1413 ه)*معجم اصطلاحات الصوفية*، تحقيق: د. عبد العال شاهين، ط1. القاهرة. دار المنار.

28. الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى.(1419 ه)ــ *الكليات*. تحقيق: عدنان درويش، وآخر. بيروت. مؤسسة الرسالة.

29. مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم* .د.ت. بيروت. دار الجيل.

30. المناوي، محمد بن عبد الرؤوف.(1410 ه).*التوقيف على مهمات التعاريف*. ط1.بيروت.دار الفكر المعاصر.